

الحب عند العرب

لِلْعَلَّامة المحقق المفقور له
أحمد تيمورباي

صفات الحب وأغراضه وأنواعه ومختارات وطرائف مما قيل في العشق
والجمال والغزل ووصف النساء ومقاطيع رائعة ونوادر فائقة للشعراء
العشاق من كل لفظ شائق بديع ومعان كأنها زهر الربيع



دار المعارف للطباعة والنشر
سوسة - تونس

العدد المستند من طرف الناشر 93/247
تدمك ؛ 6 - 205 - 16 - ISBN 9973

تمهيد لمقدمة الكتاب (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي حكم بعباده فقهر ، ودبر بطلعه فيسر ، وألف بين من شاء من أحبائه وجعلهم أحبباً ، وجعل لمجالس الأنس من الفضلاء والندماء ألباباً ، فهم يتذكرون النوادر والأخبار ، وينتظمون في تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتناشد الأشعار . أحده على كل نعمة ، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة ، وأستغفره من كل ذنب يوجب النعمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تجيرني من الخطايا والزلل ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البرأ من النقص والخلل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه التابعين وتابع التابعين . وبعد : فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوى مقاطيع رائعة ، وقصائد فائقة ، من كل لفظ بديع وممان كأنها زهر الربيع ..

(١) عثرت اللجنة بين مخططات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة لهذا الكتاب ، ولم نجد أمراً لهية أجزاء المقدمة . ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب . ولما لم يمهل الأجل تحقيق ما توطأه ، آثرنا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه ..

دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عز وجل - حبه وحب من يحبه وحب عمل يقرب إلى حبه .
ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه :

اللهم إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك .
اللهم ما رزقتني مما أحب ، فأجعله قوة لي فيما تحب . وما زويت عني مما أحب ،
فأجعله فراغاً لي فيما تحب .

اللهم اجعل حبك أحب إلي من أهلي ومالي ، ومن الماء البارد على الظمأ .
اللهم حبيبي إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين .
اللهم أخى قلبي بحبك ، واجعلني لك كما تحب .
اللهم اجعلني أحببك بقلمي كله ، وأرضيك بجهدي كله .
اللهم اجعل حسبي كله لك ، وسعبي كله في مرضاتك .

هذا الكتابُ بقلم الأستاذ عبد السلام شهاب

لم يكن عجباً ، أن يعنى بأمر الحبّ والجمال ، عالم أديب ، حجة في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون ، واشتهر إلى ذلك بالتزام الوفاق والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية ، هو المغفور له العلامة « أحمد تيمور باشا » صاحب هذا الكتاب .

فمن قبل ذلك بمئات السنين ، عنى بأمر الحبّ والمحبين ، كثير من أكابر العلماء والأدباء ، وذوى المسكنة الرفيعة والسكينة الموقرة المطاعة ، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء .

وسيطالع قراء الكتاب ، فيما تضمنته من آراء وأحاديث ونوادر وأشعار وغيرها ، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء ، وفي مقدمتهم : أنبياء وخلفاء وسلاطين ، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون ، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحبّ والمحبين قد اختصّ بكتاب كامل من أهم كتب التراث العلمى والأدبى العربى ، هو كتاب « طوق الحمامة في الألفة والألاف » الذى قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين المشهود لهم بالورع والتقوى والاقتداء ، هو الوزير الفقيه الفيلسوف أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ، وقد فصل فيه عناصر الحبّ وصفاته وآفاته ، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه ، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخالفيه ، وأكد بالأدلة القاطعة المقبولة ، أن « الحبّ ليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة » .

وتعمّرت كتب أخرى كثيرة ، لهذا الموضوع الشائق ، منها كتاب « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » ، للعلامة الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

والمستقرى لتواريخ الأمم والشعوب ، قديمها وحديثها ، وكبيرها وصغيرها ، لا بد واجد أنها كلها — دون استثناء — تشترك في معرفة الحبّ ومعاناته ، وفي تقدير أهميته في حياة الفرد والمجتمع . ثم هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلاحظ أن « الحبّ والجمال عند العرب » لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم . فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه ، فما أيسر أن يتبينها فيما توافر للعرب في بيئتهم الخاصة ، من فطرة سليمة وإحساس مرهف ، ومن تذوق دقيق واع لا يحيط بهم من روائع الجمال وبدائمه ، متمثلة في مناظر صحرائهم ، بما اشتملت عليه أرضها من رمال وتلال وجبال مختلفة الألوان ، وبما اشتملت عليه سماؤها من غيوم ونجوم ، تسحر العيون والألباب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال استجابة للرّزق ، ومن فصاحة اللسان والجنان ، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصدق وإخلاص ، فهذان يرهانان آخرا على أنهم خلّقوا ليكونوا أحقّ بالحبّ وأهله ، وأقدر على حمل تبعاته وأصدق تصويراً له وتعبيراً عنه .

وقد تنسّى بحمال الحبّ وحبّ الجمال فطاحل الشعراء العرب ، منذ عصر الجاهلية . ولم تخل من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد الكبرى التي قدّسها العرب الجاهليون وعلّقوها على الكعبة تشریفاً لأصحابها ، وتقديراً لبلاغتها فيما أكّد كثير من الرواة .

وفي أشهر هذه « المعلقات » يقول امرؤ القيس بن حجر الكندي :

أفأطيمُ : مهلاً ، بعضَ هذا التَّدَلُّكِ وإن كنت قد أزمعت صرّمي فأجملِي
أغرّك مِنّي أن حبّك قاتِلِي وألّك مَهْماً تأمرى القلبَ بفعل ؟

ويفتتح الحارث بن حلزة اليشكري معلقته بقوله في حبيبته « أسماء » :

أَفَرَّقْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءَ رَبِّ تَأْوِي يَمَلُّ مِنْهُ الشَّوَاءُ

أما طرفة بن العبد ، فقد أكل معلقته مائة بيت ابتدأها بالشوق إلى « خولة » محبوبته ، فذكر أطلال ديارها ، ومراكبها التي حملتها بعيداً منه ، ومراكبه التي يمضي عليها هائماً مشتاقاً إلى اللقاء ، ومطلع معلقته :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِيرَقَهُ تَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَائِقِ الوُصْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

ويقول عنبرة بن شداد العيسى في معلقته ، موجهاً الخطاب إلى عبلة ابنة عمه :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَاخُ نَوَاهِلُ مِئِي وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَرَدَدْتُ تَقْيِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ نَفْرِكِ الْمُتَبَسِّمِ

ويفتتح النابغة الذباني معلقته ، بذكر « مية » حبيبته وديارها التي أقفرت من أهلها فيقول :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْمَنْدِ أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ
أَضِحَتْ خَلَاءَ وَأَضْحَى أَهْلُهَا اخْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ

ويقول ذو الأصبع المدواني ، يشكو فراق محبوبته « رياء » :

يَا مَنْ لِقَلْبٍ طَوِيلُ الْبَثِّ حَزُونِ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا . . أُمُّ هَارُونِ
فَقَدْ غَنِينَا وَشَمَلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا ، وَرِيًّا لَا تَعَاصِينِي
قَرْنِي الْوُشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَسْكُونِ

ويقول السموءل بن عاديا من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل ، ويؤكد أنه لن ينتهي عن حب صاحبه مهما يطل عذله ولومه :

أَعَاذَلْتِي : أَلَا - لَا تَعْدِلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرِ عَاذِلَةٍ عَصَيْتُ
دَعِينِي وَارْشُدِي إِن كُنْتُ أَغْوِي وَلَا تَغْوِي - زَهْمَتِ - كَمَا غَوَيْتُ

أَعَاذِلُ : قد أطلت اللّومَ حتّى لو أنّي مُنتَهٍ . . . لقد انْتَهَيْتُ
وَحَتّى لو يَكُونُ فتى أناسٍ بكى من عَذَلِ عَاذِلِهِ ، بَكَيتُ
وأى تعبير عن الحبّ ، أرقّ وأعذبُ وأنفذ إلى القلوب قبل الأسماع ، مما عبّر عنه
الشاعر الجاهل النخل اليشكري في بساطة محبّةٍ ، فقال :

وأحبّها ، وتُحبّني ويحبُّ ناقثها يعبري !

وإذا كان هذا هو شأن « الحبّ عند العرب » في جاهليّتهم فلا شكّ في أن حظهم منه
قد أصبح أوفر، بعد أن جاء الإسلام فألّف بين قلوبهم ، ورّقّق من طباعهم وسما بهم درجات
في تنظيم العلاقات بين الجنسين . وقرّر للمرأة حقوقاً لم تكن لها قبله ، وحرّم البغاء .
وأوجب معاشرّة النساء بالمعروف ، أو مفارقتهنّ بالمعروف .

وقد استوصى النّبي عليه الصّلاة والسلام بالنساء خيراً ، وقرّر أن « خير متاع الدّنيا
المرأة الصّالحة » . وقال : « حُبِّبَ إلَيَّ من دنياكم ثلاث : النساء والطّيبُ وقُرَّةُ عيني
في الصّلاة » .

وجاء الخلفاء الراشدون ، فتهيجوا نهجه ، واتّبعوا سنّته . وأصبح معنى الحبّ مرادفاً
لمعنى العفة والرّغبة في استكمال الدين عند المسلمين .

وقد روى أن الخليفة الثّاني عمر بن الخطّاب رضی الله عنه ، أصاب في زمانه ناساً من
هُذَيْلٍ ، فخرجت جارية منهم ، فاتبعها رجلٌ يريدّها عن نفسها ، فرمته بحجر ففضّنت
كبده . فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودى أبداً .

كذلك أفتى عبسّد الله بن عباس رضی الله عنهما - بأنّ قتيل الهوى لا دية فيه
ولا قصاص .

وفي أخبار الوالي العربيّ زياد بن أبي سفيان ، أنه قال لجلسائه يوماً : من أنعمُ الناس
عيشة ؟ قالوا : أمير المؤمنين . فقال وأين ما يأتي من قريش ؟ قالوا : إذن أنت . فقال :
وأين ما أتى من الخوارج والثّغور ؟ قالوا : فمن أنعمُ النّاس عيشة أيّها الأمير ؟ فقال :

رجل مسلم ، له زوجة مسلمة ، لها كفاف من العيش . وقد رضيت به ورضى بها ، لا يعرفنا ولا نعرفه .

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله ، من استهلال قصائدهم بالنزل والتشبيب بالنساء .

وروى أن النبي - صلوات الله وسلامه عليه - أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي ، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحه فيها واستهلها بقوله :

بِأَنْتَ سُمَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ مُتِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ
وَمَا سُمَادُ غَدَاةِ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَفْنُ غَضِيضِ الطَّرْفِ مَسْكُوبُولُ

وكان الخليفة العباسي هرون الرشيد يقسم أعوام حكمه : عاماً لحج البيت الحرام ، عاماً للجهاد في سبيل الله . ومع هذا كان يستحسن أشعار النزل ووصف لواعيج الحب ، ويجيز عليها ويرويها . بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول :

مَلَكَ الثَّلَاثَ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَّلَنِي مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَالِي تَطَاوَعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعَنَّ وَهْنِي فِي عِصْيَانِي ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ الضَّعِيفُ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي !

وقد حمل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته ، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور : « من أحب فف ففات ، مات شهيداً » وما زالت قصصهم تضرب مثلاً على الإخلاص والوفاء .

من هؤلاء : جميل بن معمر صاحب بثينة الذي يقول فيها :

وَإِنِّي لَأَرْضِي مِنْ بُثَيْنَةَ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاقِى لَقَرَّتْ بِلَابِكِهِ
بـ « لا » ، وبألا أستطيع ، وبألنى وبالأمل المرجو قد خاب آمكه
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى وأخره لا نلتقى وأوائله

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين ، وكما قال في بيت آخر :
أَقْلَبُ طَرْفِي ، فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ يَنْظُرُ

ومنهم جميل وبثينة ، من قبيلة عذرة المشهورة بالعشق والجمال ، وقد تحاببا صغيرين ،
فلما كبر خطبها ، فرفض أهلها أن يزوجوها ، ومنعوه رؤيتها ، وهددوه بالقتل فلم يسأ
بتهديدهم ، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه ، فرد عليه قائلاً :

« يَا بَتِ : هَلْ رَأَيْتِ أَحَدًا قَدَرَ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ قَلْبِهِ هَوَاهُ ، أَوْ مَلَكَ أَنْ يَسْلِيَ نَفْسَهُ .
وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَعُوذَ بِكَرْهًا مِنْ قَلْبِي ، أَوْ أَزِيلَ شَخْصَهَا مِنْ عَيْنِي ، لَفَعَلْتُ . وَلَكِنْ
لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ بَلَاءٌ قَدْ بَلَيْتَ بِهِ لَحِينَ قَدْ أُتِيحَ لِي عَلَى أَنْيٍّ أَمْتَنَعَ عَنْ طُرُقِ
هَذَا الْحَيِّ وَالْإِلْمَامِ بِهِ وَلَوْ مِتُّ كَمَدًّا . وَهَذَا جَهْدِي وَمَبْلَغُ مَا أَقْدَرُ عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ عَلَى حَبِّهِ
لَهَا حَتَّى قَضَى أَسَى وَلَوْعَةً لِفِرَاقِهَا .

ومنهم قيسُ لُبَنَى . وكان قد تزوجها . وسعدا بتبادل الحب حيناً ، ثم طلقها نزولاً
على إرادة أبيه . ولم ينفعه الندم بعد ذلك فهام على وجهه ينشد السلوان . لكنه لم يستطع
صبراً على فراقها ، وظلّ يذكرها حتى مات .

ومنهم توبة بن الحخير وصاحبته ليلى الأخيلىة ، وفيها يقول :
وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَى وَدُونِي تَرْبَةً وَصَفَاحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ . . زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

ومنهم كثير وصاحبته عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبته الثريا ، وقيس بن الملوّح
عجّون ليلى ، وقيس بن ذريح وصاحبته لُبَنَى ، وعروة بن حزام وغفراء ، وكثير غيرهم
من العشاق العرب في مختلف العصور والبلدان .

ولقد كان صاحب هذا الكتاب ، يعدُّ في طليعة المشهود لهم بالتعمق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من السكتب القيمة في جهرة من هذه الفنون والآداب والعلوم ، آخرها « الموسيقى والغناء عند العرب » أما هذا الكتاب « الحب والجمال عند العرب » فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخط المؤلف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته . وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مثات السكتب والمخطوطات التي اشتملت عليها مكتبته . وترك جازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعتزم إضافتها إلى الأصول ، فتولت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أراده .

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب : أولها في « صفات الحب وأغراضه » . وفيه فصول متفرقة أهمها عن ماهية الحب ومعنى الحب والمحبوب وعشق الشرف وعشق الجمال وأحلام المحبين والحبيب الأول والحبيب الآخر والحب مع اختلاف الدين
والباب الثاني عن « أنواع الحب » وتندرج تحته فصول عن حب الولد وحب الأيامي واليتامي ، وأمثال في الحب ، وحجة بالغة .

والباب الثالث عن « حب الأزواج » وفيه فصول عن زواج النبي من خديجة وحبها له وتقديره لها وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، على اختلاف ألوانه .

والرابع عن « الشعراء العشاق » وما قيل منهم في معشوقاتهم .
والخامس عن « الحب والجمال » وفيه فصول حب امتداح النساء ووصف جمالهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء .

والسادس عن « الغزل ووصف النساء » .
والسابع عن « الميون وما قيل فيها » ثراً ونظماً مع رسالة في معاني لفظ « المي » وآفة النظر وغائلته .

والثامن عن « تعدد الزوجات والأزواج » وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام .

والتاسع عن « عداوة النساء » وأن طاعتهن تردى العقلاء وتذلّ الأعزاء .
أمّا الباب العاشر فحوى « طرائف عن الحب » وفيه فصول عن المرأة بين الحب والمال
ومن الحبّ إلى الزهد وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء .
وإنا لعلّى يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلّها — وقد اجتمعت مفصّلة وموضّحة
في هذا الكتاب الجديد — جديرة بأن تجعله — كما أراد مؤلفه العلامة المحقق المنفور له
أحمد تيمور باشا رحمه الله — ذا نفع كبير للأدباء والتأديين ولقراء العربية أجمعين ،
والله وليّ التوفيق .

عبد السلام شهاب

صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو ؟

قال أبو بكر الوراق : سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإسراقها طبائع الحياة . فيصور من ذلك خلقٌ حاصرٌ للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب .

وسئل حماد الراوية - عن الحب ما هو ؟ فقال : الحب شجرة أصلها الفكر . وعروقها الذِّكر ، وأغصانها السَّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها المنية .

وقال معاذ بن سهل : الحبُّ أصعب ما رُكِبَ ، وأسَّكر ما سُربَ . وأقطع ما لُقِيَ ، وأحلى ما اشْتُهِى ، وأوجع ما بَطِنَ ، وأشهى ما عُلِنَ . وهو كما قال الشاعر :

واللهبُ آفاتٌ إذا رمى صرَّحتُ تبدَّتْ علاماتٌ لها غررٌ صُفِرُ
فباطنه سُقمٌ وظاهره جوى وأوله ذِكرٌ وآخره فِكرُ

وقال بشار العبلي :

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً تُدني إليكِ فإن الحبُّ أقصاني

وقال غيره :

أحبُّكِ حبًّا لو تُحبِّين مثلهُ أصابكِ من وجدٍ على جنونُ
لطيفاً من الأحشاء ، أمّا نهاره فدَمْعٌ ، وأمّا كَيْلهُ فآيُنُ

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، في كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف : الحبُّ أولُه هزلٌ وآخره جدٌّ . دَقَّتْ معانيه - لجلالها - عن أن توصف

فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة . وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة .
إذ القلوب بيد الله عز وجل .

وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير .

وأفتى ابن عباس بأن قتل الحب لا دية له . والحب اتصال بين أجزاء النفوس .

وقال الله عز وجل :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... » .
والحب علامات منها : إيمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه ، والإنصات
إلى حديثه ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار .

ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه : التعفف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل ، ورجل قايمه معلق بالمسيجد إذا خرج منه لا يلث حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

الحب والمحبوب (١)

قولهم : أحببت حبا : الحب ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب ،
ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال : ثلاثة أحباب : فحُبُّ
علاقة ، وحُبُّ الخَلَّان ، وحُبُّ هو القتل .

وكما كان الفعل أعم وأشيع ، لم يكن لذكر مصدره معنى . ولولا كشف الشاعر
لاختلاف أنواع الحب ما كدنا نعرف ما فيه من العموم وأنه - في معنى الشغل كما تقدم .

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما :

أَحِبُّ أَبَا صِرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَبَّ بِالْمَرْءِ أَرْفَقُ
وَوَاللَّهِ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَّبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل - أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا :
حَبٌّ ولم يقولوا : حَابٌّ أصلاً . وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر
فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : مُحَبٌّ - إلا نادراً كما قال :

ولقد نزلت فلا تظنني غيرةً متى بمنزلة المحبِّ المسكر

فهذا من : أحببت - كما أن المحبوب من : حبيت ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في :
المحبوب ، أكثر من استعمالهم إياه في المحبة ، مع أنه يطلق عليهما .
فمن مجيئه بمعنى المفعول قول ابن الدُسينة :

وإن الكتيب الفرد من جانب الحمى إلى وإف لم آتِ قَحِيْبُ

أى : لمحبوب . ومن مجيئه للفاعل - قول الجنون :

أنهجرُ كِلَى بالفراق حبيبها وما كلُّ نفس بالفراق تطيبُ

فهذا بمعنى : محبها . وربما قالوا للحبيب : حِبٌّ : مثل خدن ، نَخْدِنُ وخدينٌ مثل :
حِبٌّ وحبيب . وإذا ثبت هذا فقوله : الحبُّ ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل
بالمحبوب ، وأجروه على الفعل الرباعي استثناءً عن مصدره ، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم
بالحب والسننهم به ، فاستعملوا منه أحبَّ المصدرين استثناءً به عن أثقلهما .

لما كان الحبُّ ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقياً عليه لا يروم عنه
انتقالاً ولا يبنى عنه زوالاً ، اتخذله في سويداء قلبه وطناً ، وجعله له سكناً ، حيث
قال :

تزل الجبال الراسيات وقلبه على المهدي لا يلوى ولا يتغير

وفى شرح لامية العجم . . للصّفيدي :
فالحبُّ حيث العدا والأسدُّ رابضةٌ حول الكِنَاسِ لها غبٌّ من الأسَلِ
الحب - بالضم : المحبة ، وبالكسر : الحبيب نفسه . قال ابن الأنباري :
« الحب هو الحبيب ، يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد » . ويحكى عن بعض العرب
أنهم يقولون : فلانة حَبَّتِي .

عشق الشرف وعشق الجمال

قال عروة بن الزبير رحمه الله : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسن سرها ، فإني
لأعشق الشرف كما أعشقُ الجمال » .
وإنما أراد الحسب ، وصراحة النسب ، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام :
« ما عشقت من امرأة قط إلا حسبها » .
وقال كُثَيِّرُ الشاعر :

وأنت التي حبَّبتِ كلَّ قصيرةٍ إلى وما تدرى بذلك القصائرُ
ولم يرد : القصيرة القدر ، وإنما أراد المقصورة في الجمال ، من قولك : قصره ، إذا حبسه .
والمقصورة هي : المحجوبة . ومنه قول الله تعالى : « حورٌ مقصوراتٌ في الخيام » أي :
محبوسات . وقوله تعالى : « فيهنَّ قاصراتُ الطرفِ » أي : قصرن نظرهنَّ على أزواجهنَّ
فلأينخين بهنَّ بدلاً .

ويدلّ على مراد كُثَيِّرٍ في بيته ، قوله في البيت الذي بعده :
عنيتُ قصيراتِ المجالِ ولم أردُ قصائرَ الخطي ، سرّ النساءِ البحاترُ
والبحاترُ : القصار .

أحلام المحبين

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعراً عفاً اللسان، بهوى الحُسن أينما وجدته، وينحوى فيه منحنى طاهراً بريئاً. واشتهر بحبّ الجمال العذريّ... وقد عشق الأدب الرفيع، كما عمّر فوق الثمانين عاماً، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفي سنة ٤٣٦ هـ. ومن شعره :

ضنّ عسنى بالنزور إذ أنا يقظاً ن وأعطى كثيرة في النام
والتقينا كما اشتهدنا ولا عي ب سوى أن ذاك في الأحلام
وإذا كانت الملاقاة ليلاً فالليالي خير من الأيام
وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعراً مثله يتفق معه في هواه وحبّه وعشقه
للحُسن والجمال :

بننا ضجيعين في ثوبى هوى وتقى يلفنا الشوق من فرقى إلى قدم
وبات بارق ذاك الشعر يوضح لي مواقع اللثم في داج من الظلم

الحبيب الأول والحبيب الآخر

قال حبيب البائى .

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يأنه الفتى وحينئذ أبداً لأول منزل
وقد ردّ عليه شعراء آخرون . فمن ذلك قول بعضهم :

افخر بأخر من كلفت بحبه لا خير في حبّ الحبيب الأول
أنشك في أن النسيء . محمداً ساد البريه وهو آخر مرسل ؟

ومنه قول ديك الجن الحمصي :

كذب الذين تحدّثوا أنّ الهوى لا شكّ فيه للحبيب الأوّل
ما لم أحنّ إلى خراب مقدره درّست مَعَالِمَهُ كَأَنّ لَمْ يُؤْهَلْ

فقال حبيب « حين يله قول ديك الجن » :

كذب الذين تخرّصوا في قولهم ما الحبّ إلّا للحبيب الأوّل
أو طيّب في الطعم ما قد ذُقْتَهُ من ما كلّ أو طعم ما لم يؤكّل

قال العلوي الأصمّهاني (١) :

دع حبّ أوّل من كلت بحبّه ما الحبّ إلّا للحبيب الآخر
ما قد تولّى لا ارتجاع لطيبه هل فائب اللذات مثل الحاضر؟
إن المشيب وقد وفي بمقامه أوفى لدى من الشّباب الغادر
دُنْيَاكَ : يومك دون أمسك فاعتبر ما السّالفُ المفقودُ مثلُ النّابر

الحبّ مع اختلاف الدين

قال أبو الطيّان الأسدّي ، وكان نديماً للناس من النصارى :

كأن لم يكن في القصر، قصر مقاتل وزورة ظلّ ناعم وصديق
معي كل فضفاض الثياب كأنه إذا ما جرى فيه المدام فتيق
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

(١) في الصناعتين ص ٣٣٤ .

والشيخ رجب الحريري قصيدة يصف فيها حبه لفتى نصراني يقول فيها :
 أرق من رَوْحِ الصَّبَا وَأَطْيَبُ كَلَمَاءُ جَسْمًا بِاللَّحَاطِ يُثْرِبُ
 وَلَفْظُهُ السَّخَرُ الْحَلَالُ يَطْرِبُ سَكْرَتُ مِنْهُ وَهُوَ مُهْدٍ يَعْذِبُ
 فاعجب لشهدٍ مُسْكِرٍ من سِخْرِ قَابِلَتِهِ بِأَحْسَنِ الْكَلَامِ
 مَرْجَبًا مُعْظَمًا مَقَامِي وَوَجْهَهُ الْوَضَاحُ فِي ابْتِسَامِ وَخِصْنِي بِاللُّطْفِ وَالْإِكْرَامِ
 وَبِالْجَمِيلِ وَالْحَيَا وَالْبِشْرِ

الحُبُّ فِي كُلِّ حَالٍ

قال عنتره العبسيُّ به يصف حبه لعلبة ابنة عمه ، على ظلمها إياه :
 أَحْبَبُّكَ يَاظْلُومُ وَأَنْتَ مَنِي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
 وَلَوْ أَنَّي أَقُولُ : مَكَانَ رَوْحِي لَخِفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّعْمَانِ

وقال بعضهم ، في الوداع :

وَدَّعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا وَرَحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمٌ
 سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَى إِذْ رَاخُوا . . فَا سَلَّمُوا
 وَاسْتَحْسَنُوا ظِلْمِي فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبُّ قَلْبِي كُلِّ مَنْ يُظْلِمُ

وقال دَعْبَلُ الْخَزَاعِي :

وَقِفْ الْهَوَى بِحَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
 أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لَذِكْرِكَ فَلْيَلْمَنِي الْلَوْمُ
 وَأَهْنَتِي ، فَأَهْنَتْ نَفْسِي صَاغِرًا مَا مِنْ يَهْوٍ عَلَيْكَ يَمْنُ يُكْرَمُ

حُبُّ النِّسَاءِ الْمَالِ

قال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي أَنْسَابِ قُرَيْشٍ ^(١) : كَانَ « نُبَيْهٌ وَأَخُوهُ مِنْبَهُ » مِنْ وَجْهِ قُرَيْشٍ ، وَذَوَى النَّبَاهَةِ فِيهِمْ ، وَلَكِنَّهُمَا قُتِلَا « بِبَدْرِ » كَافِرَيْنِ ، وَكَانَا مِنَ الْمُطْعِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ .

لَقَدْ كَانَ « نُبَيْهٌ » بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ بَعْدَهَا « يَاءٌ » سَاكِنَةٌ « فِهَاءٌ » وَكُنْيَتُهُ « أَبُو الزُّرَّامِ » بِتَشْدِيدِ الزَّاءِ الْمَعْجَمَةِ ، ابْنُ الْحِجَّاجِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ سَمِيدٍ بْنِ سَهْمٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنٍ « بِالتَّصْنِيرِ » بِنِ كَسْبِ بْنِ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ . وَكَانَ نُبَيْهٌ شَاعِرًا مُطْبُوعًا عَلَى الْإِجَادَةِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنْ زَيْدٌ بْنُ عَمْرٍو بْنُ تَقِيلٍ كَانَ يَقُولُ :

تلك عرساي تنطقان لهجره وتقولان قول أثره وهثره

فقال نُبَيْهٌ مِنَ الْقَافِيَةِ نَفْسَهَا ، فِي زَوْجَتَيْهِ وَقَدْ سَأَلَتْهُمَا الطَّلَاقَ :

تلك عرساي تنطقان على عمه	يد أن اليوم قول زور وهثر
سألتاني الطلاق أن رأنا ما	لي قليلاً . . قد جثمتي بئسك
فلعلني أن يكثر المال عندي	ويعرني من الخادم ظهري
وترى أعبد لنا وأواق	ومناصيف من خوادم عشر
وتجرو الأذيال في ثعمة ثم	تقولان : ضع عصاك لذهري
وي كأن من يسكن له نسب	يحبب ومن يفتقر يعيش ضر
ويحبب سر النجى ولكن	أخا المال محضر كل سر

ومن شعره :

فصر الشيء بي ولو كنت ذاماً	ل كثير لأجلب الناس حولي
ولقأه : أنت الكريم علينا	ولخطوا إلى هواي وميلي
ولكنت المعروف كيلاً هيثماً	يُعجز الناس أن يكيلوا ككيلي

(١) في خزائن الأدب ج ٣ .

وله أيضاً :

قالت سُلَيْمَى يوم جئتُ أزورها لا أبغى إلا امرأً ذامالٍ
لا أبغى إلا امرأً ذا أنضرٍ كما أسدٌ مفارقٌ وخِلالي
فلا حرصنَّ على اكتسابٍ مُحبَّبٍ ولا كسبنَّ في عَفَّةٍ وجمالٍ

في خلاصة الأثر ج 2

كان الأديب حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن المعروف «بإبن الجزري» الشاعر المشهور الحلبيُّ أحد المجيدين ، جمع شعره بين الصنعة والرفقة . كان إذا تكلم لا يظنه الإنسان يعرف شيئاً ، وكان له خطٌّ نسخيٌّ غايةً في الحسن إلا أنه كان شديد الأخلاق أحياناً ، وكان مغرماً بشعر أبي العلاء المعري ، كثير الأخذ منه ، وأخيراً رآه في مدامه وقرأ عليه اللزوميات . وسمعه يقرّر في تلك الرؤيا : أنّ الخير كلُّ الخير فيما أكرهتك النفس الطبيعية عليه ، والشرُّ كلُّ الشرِّ فيما أكرهتك النفس عليه .

ومن شعر ابن الجزري :

إن كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتابُ ربِّ السالين المرهمُ
أو كنت مصطحباً حبيباً سالكاً سُبُلَ الهوى فلزومُ ما لا يلزمُ

ومن شعره في الغزل :

ما عشتُ من ألمِ الفراقِ لو لم أطلُ أملَ التلاقِ
فأظُلَّ كاللسوعِ من أفعى النوى ، ورجاى راقِ
يا ثالثَ القمرين إلا في الكسوفِ وفي الحاقِ
حُتامِ دُمى فيك لا يرقا . . وروحي في التراقِ
والأمَّ يستسقى الفؤا دُ ظمّاً ، وأجفاني سواقِ

وغريق دمع العين لا تلقاه إلا في احتراق
والحب ما أروى الضلوع ع جوى ، وما أروى المساق
ففساك أن تجزى مَحَبَّة لك في المحبة بالوفاق
ولقد لقيت هواك أم ظم ما لقيت ، وما ألاق
وصبرت فيك على العدا صبر الأسير على الوثاق
وعلمت أن الصبر يا عذب اللعى مر المذاق
فاعرض عن الإعراض إن راضى لديك عن النفاق
وارفق ولو بالالتفا ت على ما بين الرفاق
فلقد يكون تلفت الأ عناق داعية العناق
واستبق منى باللقا بواقياً ليست بواق
أعضاء صب ، ماله إلاك من عينيك واق
فالبعض سود عيونها أمضى من البيض الرفاق
وقدودهن رواشق في الطعن كالشمر الرشاقي
وإذا بليت بحبن بليت بالدمع المراق
ومن جيد شعره قوله :

تفدأك ساقياً قد كساك ال يحسن من فرقك المضيء لساقك
تشرق الشمس من يدك ، ومن في لك الثريا ، والبدر من أطواقك
أوليس المجيب كوكبك بذرا كاملاً ، والحق من عشاقك
فتنة أنت إذ تميت وتحيي بتلافيك من نشا ، وفراقك
لست من هذه الخليقة بل أ ت ملكك أرسلت من خلّاقك

الحب خضوع النفس

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الأهدل
اليميني الحسيني مشهوداً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد رحل
إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثم توطن المصنعا ، وحصل له بها شأن عظيم ينبطه
عليه صفوة أصحابه وأترابه ، إذ كان له يد طويلة في العلوم الشرعية والفنون العربية ، إلا
أنه غلب عليه التصوف ، كما كان متقناً لعلم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، حتى إنه كان
زاهداً في الدنيا ، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض :

قلبي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتَلَفِي عَجَّلَ بِهِ وَلَكَ الْبَقَا ، وَتَعَرَّفِ
قَدْ قُلْتُ حِينَ جَهِلْتُكَ وَعَرَفْتُكَ رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفْ
أَنْتَ الْقَتِيلُ بِأَيِّ مِنْ أَحِبَّتِهِ فَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الشَّهَادَةِ يَا وَفِي
وَلَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ الْغَرَامَ وَأَهْلَهُ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصَنُّطِي

وقال مخمّساً قصيدة ابن النّبي :

رَقْمَ الْمَذُولِ زَخَارُفًا وَتَصَنُّعًا وَأَشَاعَ نَقْضَ الْعَهْدِ عَنْكَ وَشَفَعًا
فَأُجِبَّتُهُ وَالنَّفْسُ تَقْطُرُ أَدْمَعًا أَفْذِيهِ إِنْ حَفِظَ الْهَوَى أَوْ ضَيَّعًا
مَلِكَ الْفَوَادِ فَمَا عَسَى أَنْ أُصْنَعًا

حَكَمَ الْغَرَامُ فَلَذُّ بِهِ وَبِحَكْمِهِ وَابْتُتَ عَلَى مَفْرُوضٍ وَاجِبٍ رَسْمِهِ
وَاخْضَعَ لِمَعْدَلِ الْحُبِّ فِيهِ وَظَلَمِهِ مَنْ لَمْ يَذُقْ ظَلَمَ الْحَبِيبِ كَظَلَمِهِ
خُلُوعًا فَقَدْ جَهِلَ الْمَحَبَّةَ وَادَّعَى

يَا مَنْ بَلُطْفِ رَجَالِهِ قَلْبِي أَقْتَنَصَ صَبْرِي عَلَى الْأَعْتَابِ مِنْ جِلْدِي لَكِصَ
وَبَاتُ حُجْلِي حِينَ زَمَرْتُ رَقَصَ

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَدَارَكَ الْعَدَا بَرَّ الْجَمِيلِ فَقَدْ عَدَا وَتَضَمَّنَا
وَفُوتَ مِنْ نَبْلِ الْوَاظِظِ أَسْهُمِي وَكَلَّمْتُ أَحْشَاءِي وَلَمْ أَتَكَلَّمْ

وهجرتني ظلماً ولم أظلم هل في فؤادك رحمةً لتثيّم
ضمت جوانحه فؤاداً موحّماً

إني اعترفتُ بزُلّتي وجذائتي ورضاك مقصودي وغاية غايتي
يا مَنْ ضلّالي فيه عينٌ هدايتي هل من سبيل أن أبث صبايتي
أو اشتكي بلوأي أو أتضرّعاً ؟

لي في حاك مسارح ومطامح كم بث للفرزان فيه أطارح
يا قلبُ إن اليومَ طيبك نازحُ يا عينُ عُذرك أن حُبّي واضحُ
كُلّي لفرقتي أرادَ وأزَمّا

أشقى الناس أهواها

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي ، ولد بحلب ونشأ بها وكان
له مذاكرة تأخذُ بلُبِّ الصاحب ومحاضرات وتُرغَّبُ من محاضرات الراغب ، وله شعر
قصير منه قوله :

كتبت وأفكارى بحبك مُرّفتُ كما قد بدت في الحب كل ممزق
ولو حُمَّ لي التوفيق كنتُ تركته ولكنني أصبحتُ غير مُوفق
إذا قيل أشقى الناس مَنْ بات ذا هوى فلا تفكرون هذا المقال وصدق
وقال متغزلاً :

سألتها عن فؤادي أين مسكنه فإنه ضلّ عني عند مسراها
قالت : لدى قلوب جمة جمعت فأياها أنت تبني ؟ قلت : أشقاها

رابعة العدوية

روى ابن خلكان قصة « رابعة العدوية » شهيدة الحب الإلهي ، قال :
كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان
عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة .
وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة » أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي .. أتمرقُ
بالتار قلباً يحبُّك ؟ ... فهتف بها مرّة هاتفت : ما كنّا نفعل هذا فلا تظنّ بنا ظنّ السوء !
وكان سُفيان الثوريُّ عندها يوماً ، فقال : واحزنّاه ! فقالت له : « لا تكذب ، بل
قل : واقلة حزنّاه ! . لو كنت محزوناً لم يتبيّأ لك أن تتنفّس .
وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة العدوية ، فرأيتهَا في المنام تقول : هدايك تأتينا على
أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور .

وكانت تقول : ما ظهر من أعمال فلا أعدّه شيئاً .
ومن وصاياها : اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم .

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهرورديّ - في كتاب « عوارف المعارف » قولها :
إني جعلتُكَ في الفؤادِ محدّثي وأبصرتُ جِسمي من أرادَ جلُوسي
فالجسمُ مني للجلّيسِ مؤانسٌ وحبيب قلبي في الفؤادِ أنيسي

الحب أحسن المعاصي

في « لوعة الشاكي ودمعة الباكي » لابن الصفيّ :
انتصف الليلُ ، وأقبلتُ عساكرُ السعد بالرّجل والخيل ، فأمرت صاحبي برفع المدام ،
وتجهيز المرقد للنمام ، ورفع الأواني في الحال ، وأقبل على ذلك الشان وطال ، وعلق في المرقد
نقحات المسك الأذفر ، وأطلق فيه مباخر الند والسدر . ثم قال : أين ترسم لي أن أبيت ؟

فقلت : نعم عندنا لكن خارج البيت ، فأنت ممن تحققنا منه المروءة والشفقة ، فأخرج عناورده الباب بالحلقة . ففعل ما أمرناه وخرج ، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج فقلت لمحبوبي : أما تقوم بنا لننام ، وأنعم بتقبيل الثمر واعتناق القوام ، فقال لي : أقوم ولكن العناق حرام ، فقلت : في عنق تكون الأوزار والآثام :

فقام ينهضُ والصَّهْبَاءُ تُشْعِدُهُ سُكْرًا وحاول أن يَسْعَى فلم يُطِقْ

وقال لي بفتورٍ من لواحظه إن العناق حرامٌ قلتُ : في عنق

فقال : استغفر الله من الفجور واللغظ ، ومن وقوعك أيها الإنسان في الغلط .

فقلت : لا تظن أن محبتك من المعاصي والسيئات ، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل وأحسن القربات .

أستغفرُ اللهَ إلا من مَحَبَّتِكُمْ فإنها حسنة يوم اللقاء

فإن زعمتم بأنَّ الحبَّ مَعْصِيَةٌ فالحبُّ أحسنُ ما يُعْصَى به الله

الهوى قدر

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش . قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد قال : سألت أبا الفضل الرياضى عن معنى قول الشاعر :

الريح تبكى شجوها والبرقُ يلَمَعُ في الغمامة

فقال : هو عندي كقولهم : ويل للشجى من الخلى . ومعناه : إن البرق يضيحك والريح تبكى .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكى شجوها ، والبرق يبكى أيضاً وهو يلعب في الغمامة .

وأنشدنا أبو بكر الأصماني لنفسه :

إِلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَىٰ أُرْوَيْتَ مِنْ ظِلْمًا
لَقَدْ دَلَّكَ عَلَى أَنَّ الْهَوَىٰ بِدَلٍّ
فَحَسِبْ نَفْسِي غَنَىٰ عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا
وَأَنْتَ خَالٍ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ
إِنِّي وَغَلَّةُ نَفْسِي فِيكَ قَائِمَةٌ
وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارِي لِي فَأَتْرَكُهُ
لِسُكْنِهِ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُتَمَتِّعٌ
لَنْ يَضْبُطَ الْعَقْلَ إِلَّا مَنْ يَدْبُرُهُ
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِينًا وَابْقَ لِي أَبَدًا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا :

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَا تُجَارَى
فَالِ أَهْوَى الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا
عَمِدْتُ سَدِينًا أَسْتَخْفِي التَّصَابِي
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى
تَبْغِضَ مَا اسْتَطَعْتَ وَحُشْ سَلِيمًا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ النَّادِي لَطِيفِهِ
مَا طَلَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدِ أَلَمٍ بِهِمْ
حَسْبِي رِضَاءُهُ ، وَأَنِّي فِي حُبَّتِهِ
عَرَّجَ أَنْبَتُكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أَرَجِدُ
إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا
وَوُدَّهُ آخِرَ الْأَيَّامِ أَجْتَهِدُ

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه :

إِلَّا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدٌ لِقَلْبِهِ
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ فَقَلْبُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ
هُوَ النَّصْلُ ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

وَلَا فَكَنْتَ مِنَ الْأَغْلَالِ مَأْسُورًا
مِنْ أَجْلِ مَا كَانَ مَرْجُوءًا وَمَحْذُورًا
مِنْ الْهَوَىٰ وَبَأْنِي كُنْتُ مَعْدُورًا
هَوَاهُ نَفْسُكَ إِكْرَاهًا وَتَخْيِيرًا
لَمْ تَلَقْ مُذْ الْفَتَكَ النَّفْسُ تَغْيِيرًا
وَلَا اضْطِرَارًا أَتَاهُ الْقَلْبُ مَقْهُورًا
فِي الْوَصْفِ قَدَرَهُ الرَّحْمَنُ تَقْدِيرًا
وَلَنْ تَرَىٰ لِلْهَوَىٰ فِي الْعَقْلِ تَدْيِيرًا
تَكُنْ لَدَىٰ عَلَى الْحَالَيْنِ مَشْكُورًا

أنواع الحب

ضروب المحبة (١)

المحبة ضروبٌ : أفضلها محبة المتحابين في الله ، ثم محبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب . ومحبة التصاحب والمعرفة . ومحبة البرّ يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحابين لسرّ يجتمعان عليه ويلزمهما ستره . ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس .

حب الولد (٢)

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : ثمارُ قلوبنا ، وعمادُ ظهورنا ، ونحنُ لهم أرضٌ ذليلةٌ ، وسماؤُ ظليّةٌ . فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمتحونك وذمهم ، ويحبونك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويحبّوا وفاتك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت على وإني لملوء غضباً على يزيد ، فسألته من قلبي .

فلما خرج الأحنف من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

وكان عبدالله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب ، حتى لامه الناس فيه فقال : يلومونني في سالم ، وألومهم ورجلدة بين العين والأنف سالم وقال : إن ابني سالماً ، ليجب الله حباً لو لم يخفهُ ما عصاه .

(١) في كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف لابن حزم (٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ .

وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داود كل مذهب حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عبد الله ، ثم كان علقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم أنت يا داود .
وقال : تزوجت أم داود ، فما كان عندنا شيء ألفه فيه حتى اشترت له شسكوته بدائق .

وقال زيد بن علي لابنه : يا بني ، إن الله لم ير ضحك لي فأوصاك بي ، ورضيتي لك فذرنيك ، واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم يدعه التذليل إلى التفريط ، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق .

وفي الحديث المرفوع : « ربح الولد من ربح الجنة » . وفيه أيضاً : الأولاد من ربحان الله .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، لما بشرت فاطمة : « ربيحانة أشتمها ورزقها على الله » .

ودخل عمرو بن العاص ، على معاوية وبين يديه بنته عائشة . فقال : من هذه ؟ قال : هذه تفاعلة القلب . فقال له : انبذها عنك ، فوالله إنهن كيلدن الأعداء ، ويُقرّبن البعداء ، ويورثن الضغائن .

فقال له معاوية : لا تقل ذلك يا عمرو : فوالله ما مرض المرضي ، ولا ندب الموتى ، ولا أمان على الأحزان مثلهن . ورب ابن أخت قد تقع خاله .
وقال المعلّى الطائي :

لولا بُنيّات كزُغِب القَطَا يَرُدُّنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تُرَقِّصُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَتَقُولُ :

إِنَّ بُنَى شَبَهُ النَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهَا بِعَلِيٍّ

وكان الزُّبَيْرُ بينَ المَوَّامِ يَرْقُصُ عُرْوَةَ ابْنِهِ وَيَقُولُ :
أَبْيَضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقٍ مُبَارَكٌ مِنْ وَلَدِ الصَّدِيقِ
الْتَدُّهُ كَمَا أَلَدُ رَبِّي

وقال أعرابيٌّ يَرْقُصَ وَلَدَهُ :
أَعْرِفُ مِنْهُ قِلَّةَ الثَّمَّاسِ وَخِفَّةَ مِنْ رَأْسِهِ فِي رَأْسِي
وقال عبد الملك : أَضْرَبْنَا فِي الْوَلَدِ حُبَّنَا لَهُ ، فَلَمْ نُؤَدِّبْهُ ، وَكَأَنَّ الْوَلِيدَ أَدَبَنَا (١) .

حُبُّ الْأَيَّامِ وَالْيَتَامَى

من بديع أخبار الحكم أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر ، فلما نزل بوادي الحجارة ،
سمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حاكم ، لقد أهملتنا حتى كَلَبَ العدوُّ علينا فأَيْمَنَا
وَأَيْمَنَا . فسألها عن شأنها . فقالت : كنتُ مُقْبِلَةً مِنَ الْبَادِيَةِ فِي رِفْقَةٍ ، فَخَرَجْتَ عَلَيْنَا خَيْلُ
عَدُوٍّ فَقَتَلَتْ وَأَسَرَتْ ، فَصَنَعَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا :

تَمَكَّمْتُ فِي وَادِي الْحَجَارَةِ مُسْنِدًا أَرَامِي نَجُومًا مَا يَرِينُ تَغْيِيرًا
إِلَيْكَ أبا العاصي نَضِيتُ مَطِيئِي نَسِيرَ بِهِمْ سَارِيًا وَمُهَجَّرًا
تَدَارَكُ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بِنُصْرَةٍ فَإِنَّكَ أَحْرَى أَنْ تُغِيثَ وَتَنْصُرَا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوف الثغري واستصراخ المرأة باسمه ،
فَأَنْفَ وَنَادَى فِي الْحَيْنِ بِالْجِهَادِ وَالْإِسْتِعْدَادِ ، فَخَرَجَ بَعْدَ ثَلَاثٍ إِلَى وَادِي الْحَجَارَةِ ، وَمَعَهُ
الشاعر . وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كانت ؟ فأُعْلِمَ بِذَلِكَ ، فَنَزَا
تِلْكَ النَّاحِيَةَ ، وَأَثَخَنَ فِيهَا ، وَفَتَحَ الْحَصُونِ وَالْأَيَّامَ ، وَقَتَلَ مِنَ الْعَدُوِّ عَدَدًا كَثِيرًا . وَجَاءَ
إِلَى الْوَادِي فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمَرْأَةِ ، وَجَمِيعِ مَنْ أُسِرَ لَهُ أَحَدٌ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ

(١) يريد بالوليد ابنه « الوليد بن عبد الملك » . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

رقاب الأسرى بحضرتهم ، وقال للعباس : سلها هل أغاثها الحكم ؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة : والله لقد شفى الصدور ، وأنكى العدو ، وأغاث الملهوف ، فأغاثه الله وأعز نصره .

فارتاح لقولها ، وبدا السرور في وجهه وقال :
 ألم تر يا عباس أني أجبتها على البعد اقتاد الخيس المظفرا
 فأدركت أوطارا . وأبردت غلة ونفست مكروبا وأعزيت مسيرا
 فقبل عباس يده وقال : نعم ، جزاك الله خيرا عن المسلمين .

* * *

أمثال في الحب (١)

قول لسان الدين الخطيب :
 أصناف المحبين والعشاق كثير ، بحيث يشق إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم . كما أورد
 أبياتا من قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي يقول فيها :
 تسأليني : من أنت ؟ وهى عليمة وهل بفتى مثلى على حاله نسكرو
 فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى قتيالك ، قالت : أيهم فهم أكثر ؟
 وفي هذا تنبه النفوس الصعبة ، على حكم المحبة ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
 من حي عن بينة » .
 ثم قال المؤلف : « وهذه حكيم تجري مجرى الأمثال : المحبة بحر بعيد الشط ، واللقاء
 منتهى الخط . المحبة مهوى من بعيد ، ومجال وعد ووعيد .
 المحبة ظهر لا يركبه من يرى الموت فيتنكبه . كم قصت المحبة من ظهر ، وكم سير
 صوته إلى قعره .

(١) في نفع الطيب ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب .

حجة بالغنة

قال ابن السُّبُكِيِّ رحمه الله تعالى :

قالتُ : أَلَا لَا تَلِجَنَّ دَارَنَا	إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَايِرُ
قلتُ : فَإِنِّي حَاضِرٌ . . . زَائِرًا	وَلَا يُلَامُ الزَّائِرُ الْحَاضِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّيْثَ عَادِي بَنِي	قلتُ : فَسَيَفِي مَرْهَفٌ بَارِ
قالتُ : فَإِنَّ الْقَصْرَ مِنْ دُونِنَا	قلتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ طَائِرُ
قلتُ : فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ بَيْنِنَا	قلتُ : فَإِنِّي سَابِحٌ مَاهِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِنَا	قلتُ : نَعَمْ ، وَهُوَ لَنَا غَافِرُ
قالتُ : فَحَوِّلِي إِخْوَةَ سَبْعَةٍ	قلتُ : فَإِنِّي كَأَنَّهُمْ حَاضِرُ
قالتُ : لَقَدْ أَغْيَيْتُنَا حُجَّةً	قَالَتْ إِذَا مَا جَمَعَ السَّامِرُ
وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النَّدَى	لَيْلَةً لَا نَامُ وَلَا آمِرُ

حب الأزواج

زواج النبي من خديجة (١)

قال صاحب كتاب « سنا المهدي »

أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم مشى هو وعمه حمزة بن عبدالمطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك . وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذي أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد . قال البرد : وهو الذي خطب خطبة النكاح ، وكان مما قال في تلك الخطبة : « أما بعد ، فإن عمداً ممن لا يوازن به نبي من قريش إلا رجح به سرفاً ونبلًا وفضلًا وعقلًا ، وإن كان في المال قليل ، فإن المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » . فقال عمرو : هو الفحل لا يقرع أنه ، فأنكحها منه . ويقال : قاله ورقة بن نوفل . والذي قاله البرد هو الصحيح لما رواه الطبري عن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، وعن عائشة . قال : إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح ابنة أخيه خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن خويلدًا هلك قبل ذلك .

وذكر الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذي كان يتجر معه في مال خديجة : هلم - فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تسكرهما ، فلما قاما من عندها ، جاءته جويرة لها وقالت له : جئت خاطبًا يا محمد ؟ قال : كلا . فقالت : ولم ؟ فوالله ما في قريش امرأة وإن كانت خديجة - إلا تراك كفوا لها . فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطبًا لخديجة مستخياً منها .

حب خديجة للنبي وتقديره لها

لقد من الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه : « يحبهم ويحبونه ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، لو اتفقت مافي الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

وقد شاعت إرادة الله أن يلبسنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نشأة كريمة طاهرة ، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة ، والبعد عن صفائر الأمور ، فاشتهر بالصدق الأمين . وقد سمعت خديجة وهى سيدة من نساء العرب به ، ورغبت فى أن يتجر بها لها فكان نعم التاجر الصدوق المؤمن ، وربحت التجارة كثيرا ، لما اتصف به عليه الصلاة والسلام من خلق عظيم ، وقلب رؤوف رحيم .

وكان يصحبه خادمها « ميسرة » . . . الذى شاهد باشاهد من طيب الخلال ، والصدق فى الأقوال ، والإخلاص فى الأعمال . وقص الخادم على سيده ذلك . ومن ثم آنت فى سيدنا محمد صفات كمال الرجال ، فمرضت عليه أن يتزوج بها ، فوافق شاكرأ راضيا . ولقد كان يخطبها أكبر سادة العرب وجة ساستهم فلم ترض بواحد منهم .

وكانت على جانب عال من السباحة وجمال الخلق والخلق معا ، وكان هو صلوات الله عليه وسلامه ، يبلغ الخامسة والعشرين ، وتسكبه بخمسة عشر ربيعا . وصادف هذا الزواج المبارك ، بل حالفه التوفيق واليمن ، فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمينة المخلصة .

وبينا كان يتحدث فى غار ثور ، نائبا عما كان عليه شباب العرب ، حان ظهور جبريل عليه السلام لأول مرة ، وقال له : اقرأ . فأجابه النبي : ما أنا بقارى . فضممه إليه ثم أرسله ، وأعاد عليه أخرى . وفى الثالثة : نزلت السورة :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول : « زماونى » وسرد عليها روايته ، فهدأت روعه بعد أن اختبرت حالته ، إذ خشيت عليه سوءا فقالت : والله لن يخرزك الله أبدا .

إنك تصل الرحم ، وترحم الأرمامل والأيتام ، وتؤوى الضعفاء والمساكين . ثم رأت أخيراً أن تعرض أمره على ابن عمها ورقة بن نوفل ، السكاهن . . . فبشره بأن هذا هو الناموس الذي ينزل على أنبياء الله ورسله ، وسيكون له شأن عظيم !

ولقد عاشرت خديجة رسول الله قبل الرسالة خمسة عشر عاماً ، حتى بلغ الأربعين ، معاشرة كلهاً الحب والوفاء . وعاش معها حياة العزة والكرامة والاعتماد . وكم كانت ترفع من مكانته وهو الربيع المسكنة . فتقول : « كل شيء ملك محمد ، ليس لي فيه شيء » ، فهو صاحب الأمر والنهي . ولبثت معه ثمانية وعشرين عاماً ، في أتم وأكمل ما يقصّره العقل الذكي واللب الحكيم . إلى أن اختارها الله لجواره ، ولحقت بالرفيق الأعلى .

ولقد كانت أول من آمن به من النساء ، وكم حزن عليها سيدنا محمد صلات الله عليه حزناً شديداً ، حتى ذكر عام وفاتها بعام الحزن . وما زال ، عليه الصلاة والسلام ، يذكرها بالخير والثناء بعد رحيلها ، ولم يتزوج عليها قط . فما إن كان يجلس مع عائشة الصديقة بنت الصديق وتذكر أن فلانة كانت حبيبة خديجة ، حتى قال : أعطوها وأكرموها . فنارت عائشة قائلة : أولم أكن يا رسول الله - أنا البكر - خيراً منها . فغضب وتغير وقال والله يا عائشة ، ما عاد لها من النساء أحد ، لقد أمدتني فقيراً ، وأكرمتني معاشراً ، وملأت علي أركان حياتي أنسا وسودداً . قالت عائشة : وقد أقسمت بحقه وحبّه ألا تذكرها إلا بخير .

خير متاع الدنيا المرأة الصالحة

قال صلى الله عليه وسلم : « تزوّجوا الولود الودود من النساء ، فإن مكافئكم الأمم يوم القيامة » .

وقال أيضاً : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة فقال : أبني امرأة . فقيل له : ما صفتها ؟ قال : أريدها بكراً كتيب ، أو ثيباً كبكر ، حلوة من قريب ، نعمة من بعيد ، كانت في نعمة وأصابها حاجة ، ففيها أدب النعمة وذل الحاجة ، إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا وإذا افترقنا كنا أهل آخرة .

السيدة سكينه بنت الحسين

كانت سكينه بنت الحسين^(١) سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وتزوجها مصعب بن الزبير - فمات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، فولدت له قريناً ، ثم تزوجها الأصمعي بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول . ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يدخل معها غيرها من النساء ، فلم يسمعه إلا الإذعان لأمر سكينان . ولاعتبار ضعف إرادته باتصاله بنيرها من الجوارى صارت طالقة . فطلقها ..

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا . وقيل أيضاً إن الطرقة الشكينية منسوبة إليها . ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم . من ذلك ما يروى من أنها ناظرت عروة بن أذينة - من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله أشعار رائقة ، فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي ذهبت نحو سقاء الماء أبرد
هبنى بردت يبرد الماء ظاهره فمن لئار على الأحشاء تنقد ؟
فقال لها : نعم - فقالت : وأنت القائل :

قلت وأبثنتها سرى وبخت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي ؟ فقلت لها غطى هوالك وما ألقى على بصري

والسيدة سكينه ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، كانت أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبيه . وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرتها - فمات - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنة فأرسل إليها : سميتها زبراء ، قالت : اسميها باسم إحدى أمهاتي ، فسميتها خديجة أو فاطمة . فماتت ابنتها من مصعب ورحل إلى العراق فقتل عنها .

(١) ابن خلصكان ج ١ .

وخطب سكينه عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : والله لا أزوجه منه أبداً وقد قتل ابن أخي - تعني مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين ، وحكياً ، وابنة . ويقال ابنتين . فمات عنها ، فتزوجها الأصمعي بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم نفرق في الصداق ، طلقها . فطلقها ، فقال أيمن بن خريم :

نكحت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فأنت الرابع

إن البقيع إذا تقابع زرعه خاب البقيع وخاب فيه الزارع

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان - فأصدقها صداقاً كثيراً واشترطت عليه ألا يمسي لها أمراً ولا ينيرها ، ولا يعمها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل إليها ، وأن يقيمها حيث رغبتا ، فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية ، وعندك أمثال لها . وأنا أعلم أنك لا تصبر ، وأنت قد وطئت بمضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها ، وقد حرمت عليك سكينه . فطلقها زيد ، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه ونحاكموا إلى إبراهيم ابن هشام ، فقال له : انطلق فادخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا تخطب - فقالت لها مولاتها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكرؤنا . فأجابتها : أما والله لأجعلن لهم حديثاً . وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له : كيف أنت إن تزوجتكم ؟ قال تجديني خير الناس .

وكانت ظريفة عفيفة ، وأدبية فصيحة ، فوق ما امتازت به من إشراق المحيا ، وسماحة الخلق ، وملاحة الخلق . فقيل لها : ياسكينه ، أخحك ناسكة وأنت مزاحة قالت : إنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتوني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام ^(١) .

(١) أختها فاطمة بنت الحسين ، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء ، وسميت سكينه بنت الحسين باسم آمنة جدتها أم الرسول صلوات الله وأزكى سلامه عليه .

ولقد شَبَّ الفرزدق بها ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه والياً على المدينة
فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير في ذلك :
نَفَاكَ الْأَعْرَابُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحَقِّكَ تَنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ
وطافت سكينه بنت الحسين - رضى الله عنهما - فلما انتهت إلى الركن اليماني أُعِيت
في أول طواف ، ونظر إليها العرجي ، فقال :
يَقْعُدْنَ فِي التَّطَوَّافِ آوَةٌ وَيَطْفُنَّ أَحْيَانًا عَلَى قَر
حَتَّى اسْتَلَمْنَ الرُّكْنَ فِي أَنْفٍ مِنْ لَيْلَيْنِ يَطْلُنَ فِي الْأُزْرِ
فَهَرَفْنَ فِي سَبْعٍ وَقَدْ جِهَدَتْ أَحْشَاؤُهُنَّ مَوَائِلَ الْخُمْرِ
فسمعت شعره امرأة ووصفته لها ، فحفظت الشعر ، وقالت : « لو أن الرجال طَفَنَ سَبْعاً
لجهدت أحشأؤهن » .

وكانت سكينه - رضى الله عنها - على جانب وافر من الخلال العليبة فوق ما امتازت به
من كريم المهد ، ودمائة الطبع والجمال .

عاتكة بنت زيد

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة .
فأحبها ، فكان ربما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها ، لما اتصفت به من حسن الصورة
وسماحة الخلق . وكانت عبلة الجسم ، مكتنزة اللحم ، على قسط وفير من العلم والأدب ،
والعرفة بالشعر ، مما دعا عبد الله إلى الانشغال بها . فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها
قائلاً له : قد فتنتك عن دينك ، وشغلتك عن معشيتك ، فطلقها وقال :

وَلَمْ أَرْ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جَرْمٍ تَطْلُقُ
لَهَا خُلُقٌ سَمِيعٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ وَخُلُقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمَصْنُوقٌ
أَعَاتِكَ ، لَا أَنْسَاكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَاحَ قَرِيئُ الْحَمَامِ الْمَطْوُوقُ

أَعَاتِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا حَجَّ رَاكِبٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٌ
أَعَاتِكَ ، قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَخْفَى النُّفُوسُ مَعْلُوقٌ
وَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ فِي حَقِّ وَالِدٍ وَطَاعَتُهُ مَا كَانَ مِنَّا التَّفَرُّقُ
فَبَلَغَ أَبَا بَكْرٍ شَعْرَهُ فَأَمَرَهُ فَرَاغَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ مُسْتَهْدِئًا ، أَصَابَهُ مِنْهُمْ
فِي حِصَارِ الطَّائِفِ فَانْتَقَضَ بِهِ جِرْحُهُ فَمَاتَ ، فَقَالَ لِعَاتِكَ حِينَ احْتَضَرَ : لَكَ حَبِيقَةٌ مِنْ مَالِي
وَلَا تَزُوجِي . فَقَبِلَتْ ذَلِكَ . وَقَالَ حِينَ رَاجَعَهَا :

أَعَاتِكَ ، قَدْ طَلَّقْتَ عَنِّي بَعْضِيَّةً وَرَاجَعْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ
كَذَلِكَ أَمَرُ اللَّهِ غَايِرٌ وَرَاحٌ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَايِنٌ
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِرًا وَقَلْبِي لِمَا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنًا
أَعَاتِكَ إِنِّي لَا أَرَى فِيكَ سَقَطَةً وَإِنَّكَ قَدْ حَلَّتْ عَلَيْكَ الْحَاسِنُ
وَإِنَّكَ مِمَّا زَيَّنَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَلَيْسَ لِمَا قَدْ زَيَّنَ اللَّهُ شَائِنًا
فَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ وَتَرَكَ سَبْعَةَ دَنَانِيرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّا لِلَّهِ ، كَيْفَ يَصْبِرُ ابْنِي عَلَى سَبْعِ
كَيْيَاتٍ^(١) فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَتْ عَاتِكَ تَرْثِيهِ :

فَصِجَّتْ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا كَانَ قَصِيرًا
فَقَالَتْ لَا تَنْفَكْ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكْ جِلْدِي أَغْبَرًا
مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَامَةُ أَيْكَةٍ وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ النُّورَا
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرًا وَأَحْمَى فِي الْجِهَادِ وَأَصْبَرَا
إِذَا تَرَعْتَ فِيهِ الْأُسْنَةَ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرُّمَحَ أَحْمَرَا
ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ خَطَبَهَا صِرَاحُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي
مَا لَا أَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى التَّزْوِيجِ . فَقَالَ : اسْتَغْفِرِي ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَاسْتَفْتَتْهُ فَقَالَ
رُدِّي عَلَيْهِمْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْهُمْ وَتَزُوجِي . فَرَدَّتْ الْحَبِيقَةَ ، فَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ —

(١) يَعْنِي بِذَلِكَ جِزَاءَهُ عَلَى مَا أَكْثَرَ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَ يَوْمَ يَجْمَعُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ
وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ

فلما دخل بها أولم ، فدنا علي رضي الله عنه من خديرها وقال :
فأليت لا تنفك عيني سخيئة عليك ولا ينفك جلدی أغبراً
فبكت ، فقال عمر : ما أردت إلا أن تُفسد علينا أهلكنا .

ويقال : قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قُتل عمر قالت :
وفجّمتني فيروز لادر دره بأبيض نال للقران منيب
رؤوف على الأذنى غليظ على العداء أخى ثقة في السائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

وقالت :

عين جودي بمسبرة ونجيب لا تملّ على الإمام النجيب
فجّمتني المنون بالفرس المقة دم يوم الهياج والتذيب^(١)
عصمة الناس والمؤمن على الدهر ر وغيث المنتاب والمحروب
قل لأهل الضراء والبأس : موتوا قد سقته المنون كأس شعوب
نخطبها طلحة بن عبيد الله ، فشى في أمرها هبار بن الأسود ، فأفسد عليه ، فزوّجها
الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد ، فقالت : أتنهاني عن الخروج إلى
الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » فأعرض عن
ذلك أياماً ، ثمّ قعد لها في طريقها ليلاً ، فلما مرت به ضرب عجزتها بيده . وكانت عظيمة
المعجزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة إنا لله . وتركنا الخروج ،
فقال لها الزبير : مالك تركت الصلاة في المسجد ؟ فقالت : قد فسد الناس أبا عبد الله .
فقتل عنها ، فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير مَعْرِد
يا عمرو لو نهته لوجدته لا طائشاً رعى العجان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد

(١) إكثار الذب والدفع . وفي الأغاني التلبيب .

ثم خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت : إني أشفق عليك من القتل ،
لم أتزوج رجلاً إلا قُتِل ، فتزوجها محمد بن أبي بكر فخرجت معه إلى مصر ، فقتل ومثّل به ،
فقالت :

لَيْنٌ تَقْتُلُوا أَوْ تَمَثَّلُوا بِمَحْمَدٍ فَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ وَلَا الْخَرِ (١)
فتزوجها عمرو بن العاص .

وروى أن عبيد الله بن عمر - رضي الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد » فقال ابن له :
لَا تَدَعُهُنَّ يَخْرُجْنَ فَيَتَخَذَنَّهُ دَعَاً . فزجره وقال له : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تدعهن ؟ !

وذكر أبو بكر الخرائطي رحمه الله في كتاب « اعتلال القلوب » قال : كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند الزبير بن العوام رضي الله عنهما - فاستأذنته في الخروج إلى المسجد ، فشق عليه ذلك وكره أن ينعما . فأذن لها ، ثم انكمن لها في موضع مظلم من الطريق ، فلما مرت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فكرت راجعة وسبقها الزبير إلى الدار ، فلما دخلت عليه تسبح ، قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت : كنا نخرج والناس ناس ، وأما اليوم فلا ، وتركت طلب المسجد .

زواج امرئ القيس

نقل الجرجاني في كتاب « الكنايات » عن كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ، أن عبد الملك بن عمير قال : آلى امرؤ القيس بن حجر ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن « ثمانية وأربعين وائتين » فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر . .
فبينما هو في جوف الليل إذا هو برجل - معه ابنة صغيرة له كأنها البدر لمتة ، فأعجبته فقال لها :

(١) يقال : مثل به يمثل مثلاً ، مثل : قتل يقتل قتلاً ، ومثل به تمثيلاً : إذا نكح به .

يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ قالت : أمّا ثمانية فأطباء الكلبة ، وأمّا أربعة فأخلاف الفاقة ، وأمّا اثنان فتدنيا المرأة . فخطبها من أبيها ، فزوجه إياها وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فأجابها موافقاً ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ثمّ إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نحيّاً من سمن ، ونحيّاً من عسل ، وحلة من قصب ، فنزل العبد في بعض المياه فغسّر الحلة فلبسها ، ثمّ أتاها - وهي خائف - فسألها عن أبيها وأمّها وأخيها ، ودفع إليها هدّيتها . فقالت له : أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أمّي ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأن أخي يراعى الشمس ، وأن سماءكم انشقت ، وأن وعاءكم نصب . فقَدِمَ الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أمّا قولها ذهب يبعد قريباً ويقرب بعيداً فإن أباهما ذهب يخالف على قومه ، وأمّا قولها ذهبت تشقّ النفس نفسين فإن أمّها ذهبت تقابل نفسها ، وأمّا قولها أخي يراعى الشمس فإن أخاهما في سرح له يرعاه ، وأمّا قولها : إن سماءكم انشقت فإن البرد الذي بعثت به انشقت ، وقولها : إن وعاءكم نصب فإن النّصيين اللذين بعثت بهما نقصا . فاصدقني ، فقصّ عليه الغلام القصة .

ثمّ إن امرأ القيس ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه الغلام ، فقام الغلام يسقي الإبل ، فمعجز عنها ، فأعانه امرؤ القيس . فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقبل لها : قد جاءك زوجك . فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ . ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرمها وذنبا . ففعلوا وأكل ، ثمّ قالت : اسقوه لبناً خائراً أي حامضاً - فشرب فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إنّي أريد أن أسألك فقال : سليني عما شئت . فقالت : ممّ تختليج شئتاك ؟ فقال : لتقبلي إياك . قالت : ممّ يختليج نغذاك ؟ فقال : لتوركي إياك . قالت : عليكم فشدّوه وثاقاً ، ففعلوا .

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر ، فرجع إلى نحيّ وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ ولكن

انحروا له جزوراً وأطعموه من كرفسها وذنبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك - قال : فأين الكبدُ
والسنامُ واللحى ؟ ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خائراً . فأتى به ، فأبى أن يشربه
وقال : أين الضريب والريبة ؟ ! فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام . وقال :
افرشوا لى على القلعة الحمراء ، واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلمَّ فسرطنى عليك
فى المسائل الثلاث ، فأرسل إليها : أن سلى عما شئت . فأرسلت إليه : ممَّ تختلج شفتاك ؟
قال : لشرب الشمشعات . قالت : فيمَّ يختلج كَشْحَاك ؟ قال : للبسى المحبرات . قالت :
فممَّ يختلج نغذاك ؟ قال : لركوبى المظهَّمات . قالت : هذا زوجى لعمرى فعليكم به ، واقتلوا
المبد ، فقتلوه .

ودخل امرؤ القيس بالجرارية التى أحبها حين رآها ، فأعجب بجمالها ، وسألها ، فسكان
جوابها شافياً .

وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبه له .

ولاء أم عقبة لابن عمها غسان

كانت أم عقبة ، وهى امرأة من بنى يشكر - عند ابن عمِّ لها يقال له : غسان ، ولما
شمر بدنو أجله أو قرب موته سألتها عما تصنع بعده قائلاً :

أخبرى بالذى تريدن بمدى والذى تضمرين يا أمَّ عقبة
تخفظين من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلق وصحبه
أم تريدن ذا جال ومال ؟ وأنا فى التراب فى سجن غربه
فقالت : والله لا أجيبك بكذب ، ولأجعلنه آخر حظى منك ، وأنشدته :
قد سمعت الذى تقول وما قد يا ابن عمى تخاف من أمَّ عقبة
أنا من أحفظ الوداد وأرعا هُ لما قد أوليت من حسن صحبه
سوف أبكيك ما حيت بنوح ومراث أقولها أو بندبه

فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بمد موت الأزواج ياخير من عو سر ، فارعى لي حقَّ حُسْنِ الوفاء
إننى قدر جوت أن تحفظى العـ دة ، فسكونى إذا متُّ عند الرجاء

زواج حاتم الطائي (١)

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال : أخبرنا عبد الرحمن بن أخى الأصمى ، عن مته ،
وأبو حاتم عن أبى عُبَيْدة . قال :

كانت امرأة من العرب ، ذات جمال وكمال وحسب مال ، قد آلت أن لا تزوج نفسها
إلا كريماً ، ولئن خطبها لثيم لتجدعنَّ الله ، فتصامها الرجال ، حتى انتدب لها زيد
الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون ، فارتحلوا إليها ، فلما دخلوا
عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ، فما الذى جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا زواراً وخطاباً .
قالت : أ كفاء كرام . فأنزلتهم ، وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القِرَى وزادت فيه .
فلما كان اليوم الثانى بعثت بعض جواريتها متنكرة فى زى سائلة ، تنعّض لهم ،
فدفع لها زيد وأوس شطراً ما حمل إلى كل واحدٍ منهما ، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها
جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث ، دخلوا عابها فقالت : ليصف كل واحدٍ منكم نفسه فى شعره
فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هنا سألتِ بى نبهانَ ما حَسْبى عند الطمانِ إذا ما احمرتِ الحدقُ
وجاءت الخيل مُحمّراً بَوَادِرُها بالساء يسفح عن لَبَّائِها العَلَقُ

(١) فى أمالى الزجاجى .

والخيلُ تعلمُ أنى كدتُ فارسها والجارُ يعلمُ أنى الوابلُ الغدقُ
هذا الثناء ، فإن ترَضَى فراضيةٌ أو تسخطى فإلى من تعطفُ العنقُ
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أنا أكرم أحساباً وأشهر أفعالاً من أن نصف
أنفسنا لك ، أنا الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لامٍ ليَقْضَى حاجَتى فيمن قضاهَا
فما وطئُ الحصا مثل ابن سَعْدَى ولا لبس النعال ولا احتذاهَا
وأنا الذى عَقَّتْ عقيقته فأعتقت عن كل شعرة منها نسمة ، وأنشأ يقول :

فإن تنكحى ماوية الخير حاتماً فما مثلهُ فينا ولا فى الأعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همّة فسكالك أسير أو معونة غارم
وإن تنكحى زيدا ففارس قَوْمِهِ إذا الحربُ يوماً أقعدت كل قائم
وإن تنكحينى تنكحى غير فاجرٍ ولا جارفٍ جرف المشيرة هادم
ولا مُتَّقٍ يوماً إذا الحربُ سَمَرَتْ بأنفسها نفسى كفعل الأشايم
وإن طارقُ الأضيافِ لآذ برحله وجدت ابن سَعْدَى للقرى غير عاتم^(١)
فأنى هُدَى أهدى لك الله فأقبلي فإننا كرام من رؤوس الأكارم
وأنشأ حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنب والهجرُ وقد عذرتنى فى طلابكم العذرُ
أماوى إما مانعٌ فمبينٌ وإما عطالا لا يُنهيهِ الزجرُ
أماوى ما يغنى الثراء عن الفقى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ
وقد علم الأقوام لو أن حاتمًا أراد ثراء المال كان له وفرُ

إلى أن أنى على القصيدة ، وهى مشهورة . فقالت : أما أنت يا زيد ، فقد وترت العرب ،
وبقاؤك مع الجرّة قليل . وأما أنت يا أوس ، فرجل ذو ضرائر ، والصبر عليهن شديد .
وأما أنت يا حاتم ، فمرضى الخلاق ، محمود الشيم . كريم النفس ، قد زوجتكَ نفساً

(١) أى : غير مبطل .

حبّ سحيم لعائشة بنت طلحة

قال أبو الحسن على المدائني :

تزوج سحيم بن حفص — بعائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أبو عذرتها فولدت له أولاداً ، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر :

أيا طَلَحَ إن كنتَ أعطيتني جَمَالِيَّةَ تَسْتَخِفُّ الضَّفَارَا
فإِكان نَعْمَكَ لي مَرَّةً وَلامَرَّتَيْنِ وَلسكنُ مَرارَا
أبوكَ الذي بايعَ المُمَظَفِي وسار مع المهتدي حيث سارا

وقال أيضاً عن سحيم : صارمت عائشة زوجها ، وكان في خُلُقها زعارة ، وكان ياق منها البلاء ، ف قيل له : طَلَّقْها ، فقال :

وإنَّ فراقِي أهل بيت أوْذُهُم لَهْم زُلْفَةٌ عندِي لإحدى العظائم
فكيف يصفو العيش من بعد بَيْنِهِم وَسُخْطُهُمْ يوماً . . عن الأنفِ خاطمي
وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إن تزوّجته فهو عليّ كظفر أُمّي . ثم سألت أهل المدينة فقالوا : اعتق رقبةً وتزوّجيه . فتزوّجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة ألف . فقال أنس بن أبي أنس بن زعيم :

تعلى الفتاة بألف ألف كاملٍ وتبيت سادات الجنود جياعاً
لو في أبي حفص أقولُ مقاتلي وأبشهُ ما قد أرى لارتاعاً
فبلغ الشمرُ عبد الله بن الزبير فقال : إن مصعباً قدم خيره .

وقال أبو الحسن عن الشعبي : كان يجالسنا أيام الفتنسة رجل فقلت : من أنت ؟ قال : مولى عائشة بنت طلحة ، خطبها مصعب بن الزبير وتزوّجها فأحبّها ، وكانت امرأة جميلة في أذنها عِظَمٌ ، وفي ساقها حموشة^(١) . وقال قوم : في قدمها عِظَمٌ .

(١) الحموشة : الدقة .

وروى عن الشعبي أنه قال : أخذ بيدي مصعب ، فمضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي ، فرفع سترأفا إذا عائشة ، وإذا هي أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلاني ودخل ، فرجعت . ثم رحت إليه بالعشي وهو جالس ، فأشار إلي بيده وقال : رأيت ذلك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلي التي يقول فيها الشاعر :

وما زلت من ليلي لئن طر شاربي إلى اليوم أخفى حبها فأباين^(١)
وأهل في ليسلي لقلبي ضغينة وتُحمل في ليلي على الضنائن

ياشعبي : رأيت عائشة وما يدلك إذ رأيتها من صلة ، ثم قال لا بن أبي فروة : أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً ، فقتل عنها مصعب . وأنبأ الحسن قال : قال سلم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمت عليها وانتسبت لها ، فسكت وقالت : يرحم الله مصعب ، ثم أرادت النهوض ، فأخذت امرأتان بيديها . وعندها نسوة . فاعتمدت على المرأتين ، فلما كادت أن تستقل حتى خذلها وركها ، فقالت إحسدي المرأتين : إنابك لتعبات ، وكانت مديدة الجسم ، مكثرة اللحم ، على نصيب وافر من حسن الصورة وإشرافها .

الثريا وعمر بن أبي ربيعة (٢)

حدثنا الزبير بن بكار ، عن مسلمة الخزومي عن أيوب : أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقاً بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت أهل ذلك جالاً وتعاماً ، وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يندو عليها على فرسه ، فيسأل الركبان الذين يحملون المأكلة من الطائف عن الأخبار ، فلقى يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبراً ، إلا أننى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش نسيت اسمها ، ولعله نجم في السماء . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

(١) البيتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٢) وروايته : « وأدجن » .

(٢) في الأغاني ج ١ .

وكان عمر قبل ذلك قد بلغه أنها عليلة ، فَوَجَّهَ فرسه إلى الطائف يركضه ، وسلك أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقعتة وهي تتشوف له فوجدتها سليمة ومعهما أختاهما : رضا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا أمرتهم لأختبر مالى عندك فقال عمر في ذلك هذا الشعر :

تشكى السكْمَيْتُ الجُرْمَى لما جهدته وبين لو يستطيع أن يشكِّمًا
فقلت له : إن ألقَ للمين قرَّةً فهان على أن تكلَّ وتسأما
لذلك أدنى دون خيلٍ رباطه وأوصى به ألا يهان ويكرما
عدمت إذن وفرى وفارقت مهجتي لأن لم أقل قرئًا إن الله سلما

فقال مسلِّمةُ بن إبراهيم : قلت لأيوب بن مسلِّمة : أكانت الثريا كما يصف عمر ابن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قيس :

حبذا الحجُّ والثريا ومن بال خيف من أهلها وماقى الرِّحالِ
ياسليان إن تلاقِ الثريا تلاقَ عَيْشَ الخلود قبل الحلالِ
دُرَّةٌ من عقائل البحر بكر لم يشنها مُثاقِبُ اللَّآلِ
تعقد المئزر السَّخَام من الحرِّ على حقو بادئ مكسالِ

وحدَّثنا عمر بن شبة قال : أخبرنا محمد بن يحيى قال : زعم عبيد بن يملى - قال حدثني كثير بن كثير السهمي قال : لما ماتت الثريا ، أتاني الغريض فقال لي : قل أبيات شعر أُنح فيها على الثريا ؛ فقلت :

ألا ياعين مالكِ تدمعينا أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا ؟
أم أنت حزيمة تبكيين شجواً فشجوك مثله أبكى العيونا

أبو الأسود الدؤلي وامراته وابنها

قال صاحب « سناء المهتدى » .

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامراته في ابن لهما ، وترافعا إلى زياد - وأراد كل أخذهُ ،
فَقالت المرأة : أوصح الله الأمير ، هذا ابني ، كان بطلي وعاءه ، وحجري فداءه ، وثديي
سقاءه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوفى
فصاله ، وكَلْتُ خِصاله ، واستوكمت أوصاله ، وأَمَلْتُ نَفْعَه ، ورجوتُ دَفْعَه ، أراد أن
يأخذه مني كَرْهًا ، فَأَنصِفَنِي فقد أراد قَهْرِي ، وحاول قَسْرِي .
فقال أبو الأسود : حملته قبل أن تحمله ، ووضعتُه قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه
في أدبه ، وأنظر في تقويم أوده ، وأمنحه على ، وألهمه حِلْمِي ، حتى يَكْمُلَ عقله ، وَيَسْتَكْمِلَ
فُيْلَه .

فَقالت المرأة : صدق أصلحك الله . حمله خِفًا ، وحملته ثِقَلًا ، ووضعه شَهْوَةً ، ووضعتُه
كَرْهًا .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ولدها فهي أحقُّ به منك ، ودعنا من سَجْمِكَ .

* * *

المجرّد والمرأة التي تبعها

قال ابن وهب : تبعَتْ جارية إلى منزلها ، طامعاً فيها . فسقتني نبيذاً وغنّت على عُودها
بصوتٍ ما سمعت أعذب منه ، ولا أنفَذَ إلى القلب :

كَأَنِّي بِالْمَجْرَدِ قَدْ عَلَّتُهُ . . . نِعَالُ الْقَوْمِ أَوْ خُشْبُ السَّوَارِي

فقلت لها : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، لم أفهم هذا الشعر ولا أحسبه ممّا يُفَعَّنِي به . قالت : أنا أوّلُ
من تَمَنَّي به ، وإنّما هو بيتٌ لا يدري قائله ومعه بيتٌ آخر .

قلتُ : سرّيني بأن تُغنّيه لعلّي أفهمُ . قالت : ليس هذا وقته ، هو آخر ما أتغنّي به .
قال : وجعلتُ لأنازعها شيئاً إجلالاً لها وإعظاماً ، فلما أمسيتُ وجاءت المساء الأخيرة ،
وضعتُ عودها ، فقامتُ فصلّيتُ وما أدري كم صلّيتُ بحمّةٍ وتشوّقاً . فلما سلمتُ ، قلتُ :
تأذنين لي بجعلتُ فداءك في الدنوّ منك ؟

قالت : هذا لك ، ولكن بعد أن يتجرّد كلُّ منّا . ثمّ ذهبتُ كأنها تريد أن تخلع ثيابها ،
فكدتُ أن أشقّ ثيابي من العجالة للخروج منها ، ولما قمتُ بين يديها متجرّداً . قالت :
انتبه إلى زاوية البيت ، وأقبل إلى مقبلاً ومدبراً . قال : وبينما أنا في طريق إلى الزاوية ، أردتُ
اجتياز حصار في العرفة ، فما كدتُ أن أستقرّ فوقه حتّى هبط بي في خرق تحته ، وإذا أنا
في السوق مجرّداً ، وإذا شيخان هناك قد كُنا في ناحية ، وأعدّا نعالهما . فلما هبطتُ عليهما
بادرائي فقطعاً نعالهما على قفّاي ، وجاء أهل السوق ، فشاركوهم في ضربتي حتّى أنسيتُ اسمي
وبينما أنا أخطّ بنعال مخصوفة ، وأبدر ثقال ، وخشب دقاق ، إذا صوت من فوق البيت
ينغتي :

كأنّي بالجرّد قد علته نعال القوم أو خشب السوّاري
ولو علم الجرّد ما أردنا لبادرنا الجرّد في الصحاري

الشعراء العشاق

جميل بثينة (1)

إنَّه لما حُوم أن بُثَيْنَةَ محبوبه جميل قائد الشعر، وقد نسب بعض الشعراء بلساء مخصوصة، واشتهر كل واحد منهم بمن تنزل بها، فاشتهر جميل ببثينة، واشتهر كثير بمزة، وعروة ابن حزام بمفراء، وقيس مجنون بنى عامر بليلي، وقيس بن ذريح بلبنى، والمرقس بفاطمة، وذو الرمة بمية وهي الخرقاء، والعباس بن الأحنف بفرف.

وبعض الشعراء لا يلتزم التنزل بامرأة مخصوصة كأمري القيس .
وبُثَيْنَةُ مصنر . بُثْنَةُ - قال صاحب الصحاح : البُثْنَةُ - بالتسكين : الأرض اللينة ،
وبتصغيرها سميت : بُثَيْنَةُ .

أما قصة جميل بن معمر العذري ، فقد روى صاحب « الأغاني » بسنده ، قال :
اجتمع جميل مع جماعة من رهبته يتحدثون . فقال بعضهم : بالله حدثنا بأعجب يوم لك مع
بثينة . قال : نعم . مُنَعْتُ من لقائي مدة ، وتعرضت لها جهدي فلم أصل إليها ، فبينما أنا ذات
ليلة جالس بين شجرات بالقرب من حياها ، وقد أقيمتُ ثلاثاً أنتظرها ، إذا شخص قد أقبل
إليّ ، فجلست وانتضيت سفي ، فلم ألبث أن غشيني الشخص ، فإذا هي بثينة قد أكبّت
عليّ . فأدهشني ذلك ، وبقيت متحيراً لا أحيّر جواباً إليها ، ولا أراجعها كلمة حتى برق الصبح ،
وما استطعت أن أكلمها .

قالوا : فهل قلت في ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم قصيدة طويلة . .

وهذه أبيات من أولها :

أهاجك أم لا بالتناضب مَرَبِّجٌ ورسمٌ بأحراج الغديرين ، بَلَقْعُ

ديار ليلي^(١) . . إذ نحلُّ بها ممّا
 فيارب حبيبي إليها ، وأعطني الـ
 وإلا . . فصبرّني وإن كنت كارهاً
 فإن يك قد شطت نواها وقد نأت
 جزعتُ غداة البين لما تحمّلوا
 تحمّلتُ منها يومَ بانوا بنظرةٍ
 وإذ نحن منها في الموتة نطمعُ
 مودةً منها ، أنت تعطى وتمنعُ
 فإنّي بها إذا العارج مولعُ
 فإن القوى ممّا تُشيت وتجمعُ
 وما كان مثلي يا بثينةُ يجزعُ
 وهل عاشقٌ من نظرةٍ يتمتعُ ؟

وروى صاحب الأغاني عن الهيثم أن جيلاً طال مقامه بالشام ، ثم قدم وبلغ بثينةَ خبره . فراسلته مع بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ، ووجدوها به ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فصار إليها ، وحادثها طويلاً ، وأخبرها بحاله بمدّها .

قال : وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هما عليها ، فوثب جميل فسل سيفه وشدّ عليهما ، فاتقيا بالهرب . وناشدته بثينة بالانصراف وقالت : إن أقت فسنحتني ، ولعل الحى أن يلحقوك ، فأبى وقال : أنا مقيم ، وامضى أنت وليصنعوا ما أحبوا . فلم تزل تناشده حتى انصرف . وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه ، فقال هذه الأبيات الستة :

بمختلف الأرواح بين سويقة^(٢) وأحذب^(٣) كادت بعد عهدك تخلق^(٤)
 أضرت بها النكباء^(٥) كل عشية^(٦) وتفتح الصبا^(٧) والوايل^(٨) المتبع^(٩)
 وقفت بها حتى تحلّت كعمايتي^(١٠) وملّ الوقوف الأرحي^(١١) المنوق^(١٢)

(١) لا يخفى أن جيلاً ينسب لبثينة . وإنما ذكرها باسم ليلي جرياً على عادة الشعراء في إخفاء أسماء معنوياتهم أحياناً .

(٢) سويقة وأحذب : موضعان . (٣) تخلق : تبلى ، يقال خلق الثوب وأخلق .

(٤) النكباء : كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها تسكت عن مهبها أى : عدلت .

(٥) تفتح الصبا : النسيم العليل . (٦) الوايل : المطر العظيم . (٧) المتبع : المعابر العظيم .

(٨) عمايتي : بفتح العين من العماية ، هى من عمى القلب . (٩) الأرحي : الجبل النجيب منسوب

إلى أرحب وهى قبيلة ، وقيل لخل ، وقيل موضع . (١٠) المنوق : الدلل كالناقة .

وقال خليلي : إنَّ ذا لصَبَابَةٌ ألا تَرجُرُ القلبَ اللُّجُوجَ فيلحق
تَعَزَّزَ وإنَّ كانتَ عليكَ كَرِيمَةٌ لعلَّكَ من أسبابِ (١) بَثْنَةٍ تُعْتَقُ
فقلتُ له : إنَّ البُعَادَ يَشُوقُنِي وبعضُ بَعَادِ البَيْنِ والنَّأْيِ أَشْوَقُ

كثير عزة

من « بلاغات النساء » (٢) ما حدثني الزبير بن بكار، قال : حدثني سليمان بن عباس السَّعْدِيُّ قال : كان كثير بن عبد الرحمن يأتي من يمحج من قريش في كلِّ سنة بهدية ، فنقل سنة عنهم ، حتى أصبح يوماً فركب من منزله بكلِّية جملاً ، واستقبل الشمس في يوم صائف ، فلم يأت قديداً حتى احترق وشجر وجاء وقد راح النَّاسُ ، إلا فتى من قريش تغلَّف ومعه راحلة له ، على أن يلحق بهم .

قال الفتى القرشي : فإني لجالس إذا أقبل كثير فجلس إلى جنبي ولم يُسَلِّمْ . ثم جاءت امرأة جميلة وسيمة ، فاستندت إلى خِيَمَةٍ من خيام قديد ؛ ثم قالت له : أنت كثير بن أبي جمرة ؟ قال : نعم . قالت أنت الذي تقول :

وكنيت إذا ماجئت أجلن مجلسي وأعرضن عني هيبة لا نجهما

قال : نعم . فتأملت وجهه مبتسمة وقالت : أعلى مثل هذا الوجه هيبة ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال لها : كثير : من أنت ؟ واحتدَّ عليها وهي ساكتة . ثم قال لها : لو أعلم من أنت لقطعتك وقطعت قومك هجاء . فلما سكن ، قالت له : أنت الذي تقول :

متى تنشروا عني العمامة تبصروا جميل الحيا أغفلته الدَّوَاهُنُ ؟

أنت جميل الحيا ؟ ! إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

(١) وقوله : لعلَّكَ من أسبابِ بَثْنَةٍ . روى بدله : لعلَّكَ من رِقٍ لبثنة . . .

(٢) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجرك كثير ، وسكنت عنه حتى سكن . ثم قالت : أنت الذى يقول :
 يروق العيون الناظرات كأنه هرقلى وزن أحر التبر وازن
 أهذا الوجه يروق العيون ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
 فازداد خجراً وقال : قد أعلم من أنت ، ولأقطعك وقومك ، وقام . فالتفت فإذا هى قد ذهبت .
 قال القرشى : فلما كان منصرفي من قديد ، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة وقلت لها :
 لك على إن أخبرتنى من هى أن أطوى لك ثوبي هذين إذا قضيت إحرامى وآتيك بهما -
 فأدفعهما إليك . قالت : والله لو أعطيتنى وزنهما ذهباً ما أخبرتك من هى . هذا كثير -
 وهو مولاى - قد أبيت أن أخبره من هى .
 قال القرشى : فرحت وبى أشد مما بكثيراً .

عمر بن أبي ربيعة

كان عمر بن أبي ربيعة^(١) معروفاً بشغفه حباً فى النساء ، وعشقا لحاسنهن ، والتشبيب
 بمن يهواها ، وهذه أبيات له :

فلمّا تقضى الليلُ إلّا أقلّه	وكادت توالى نجيحه تَمُورُ
أشارت بأن الحى قد حان منهم	هبوب ولكن موعدك عزودُ
فلما رأت من قد تلبه منهم	وأيقاظهم قالت : أثير كيف تأمرُ ؟
فقلت : أباديهم فأبما أفوتهم	وإمّا ينال السيف ثارا فيثأرُ
فقلت : التحقيقاً لا قال كاشحُ	علينا ، وتصديقا لا كان يؤثرُ
فإن كان مالا بُدّ منه فغيره	من الأمر أدنى للخفاء وأسترُ
أقص على أختي بدء حديثنا	ومالى من أن تعلم متأخرُ

(١) فى خزانة الأدب ج ٣ .

لَمَّا هُمَا أَنْ تَبْعِيَا لَكَ مَخْرَجًا وَأَنْ تَرْحِبَا سُدْرًا بِمَا كُنْتَ أَحْصَرُ
فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا : أَعِينَا عَلَى فِتْي أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرَ لِلْأَمْرِ يُقَدَّرُ
فَأَقْبَلَتَا ، فَارْتَاعَتَا . . ثُمَّ قَالَتَا : أَقْبَلِي عَلَيْكِ الْيَوْمَ فَانْطَلِبِي أَيْسَرُ
يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مَتَفَكِّرًا فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو . وَلَا هُوَ يُبْصَرُ
فَكَانَ بَحْثِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي ثَلَاثَ شَخْوَصٍ : كَاعْبَانَ وَمَعْصَرُ

من شعر أمية بن الصلت في الغزل

قال أمية بن أبي الصلت من قصيدة له من « الطويل » :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى وَأَذِنَ أَحِبَّابِي غَدَاً يَقُولِ
تَبَدَّتْ لَهُ لَيْلَى لِيَذْهَبَ عَقْلُهُ وَشَاقَتْكَ أُمُّ الصَّلْتِ بَعْدَ ذُحُولِ
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا وَكَأَنَّمَا تَعْمَلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى تَغْشَتْكَ عَهْرَةٌ تَعْمَلُ بِهَا الْعَيْنَانِ بَعْدَ نُحُولِ
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي : هَلْ سَأَلْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَيْلَى أَضَلُّ خَلِيلِ
وَأَبْعَدُهُ لَيْلَا ، وَأَوْشَكُهُ قَلِي وَإِنْ سَأَلْتُ عُرْفًا فَشَرُّ مَسْئُولِ
لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُخْتُ عَنْهُمْ بَلِيلِي ، وَلَا أُرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ
فَإِنْ حَاوَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بِكَذِبَةٍ فَرَوْهَا ، وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِحَوِيلِ
فَلَا تَعْجَلِي يَا لَيْلَى أَنْ تَتَفَهَمِي بَنُصْحِ أَتَى الْوَاشُونَ أُمِّ بَحْبُولِ
فَإِنْ تَبَذَّلِي لِي مِنْكَ يَوْمًا مَوْدَّةً فَقَدْ مَا تَخَذْتُ الْفَرَضَ عِنْدَ بَذُولِ
وَإِنْ تَبَخَّلِي يَا لَيْلَى عَنِّي فَإِنِّي تَوَكَّلْنِي نَفْسِي بِكُلِّ بَخِيلِ
وَأَسْتُ بَرَّاضٍ مِنْ خَلِيلِي بَنَائِلِ قَلِيلِ ، وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلِ

وليس خليلي بالسلول ، ولا الذي
ولكن خليلي من يديهم وصالته
ولم أَر من كَيْلِي نوالاً أعدّه
يلومك في كَيْلِي وعقلك عندهما
يقولون : ودّع عنك كَيْلِي وَلَا تَهِم
فما انتفعت نفسي بما أمروا به
وقالوا : نأت فاختَر من الصبر والبكا
توليت محزوناً وقلت لصاحبي :
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم
وما زلت من كَيْلِي لدُن طرّ شارب
إذا غيبتُ عنه باعني -
ويحفظُ سرّي عند كل
ألا ربّما طالبت غير
رجال ، ولم تذهب لهم
بقاطمة الأقران ذاتِ خا
ولا عُبجتُ من أقوالهم
فقلت : البسكا أشقى إذن
أقَاتِلِي كَيْلِي بنير قَتِيل
ومالَ بنا الواشون كل
إلى اليوم كالمَقَصَى بسكل

حب امرئ القيس

من بين جبال اليمن السميدة وقد اشتهرت بمخصب أرضها - جبل يقال له :
وهو جبل معروف يملو سطحه نبات أخضر يسمى « العرمض » ويملو الماء فيه .
يقال له « طامي » ويقال له أيضاً : ثور الماء ، لتفجّر ثورانه من بين صخور وأ-
وقد ذكر البكري أن ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله عليه
فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم ، فلما أتوا « ضارجا » وهو ذلك
ينى عليه الظل وارفأ جيلا من نبات العرمض ، بخضرته اليانعة ورائحته الطيبة
أحدهم قول امرئ القيس :

ولما رأت أن الشريعة همها وأن البياض من قرائضها د
تيممت العين^(١) التي عند « ضارج » ينى عليه الظل عرْمَضُها طامي
وإنه لخبر عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التي أبدع الله صنعها .

(١) إشارة إلى الماء . (٢) الطامير : المرتفع الذي يملو نباته الماء .

ذو الرّمة وميّة

اشتهر ذو الرّمة بحبّ خرقاء ، ولُقِّبَتْ : ميّة . ومما يؤثّر عنه أنّه يخاطب نفسه -
في قصيدة طويلة كلّها غزلٌ ونسيبٌ فيقول :

إذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تخلقُ حبال الوسائل
وأهلّ ودّاً فد تَبَرَّيتُ ودّهم وأبليتُهم في الحمد جَهْدِي ونائلي

توبة وليلى الأخيلية

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان ، وأبو إسحاق الزجاج ، عن أبي العباس محمد
ابن يزيد البرّد . قال ثبتت الروايات والأخبار أنّ « ليلي الأخيلية^(١) » لم تكن امرأة
توبة بن الحخير ولا أخوته ، ولا كان بينهما نسب شاك ، إلا أنّهما كانا
جميعاً من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان يحبها وتحبّه ،
فأقاما على حبّ عفيفٍ دهرًا ، وتلك هي السُّنَّةُ في عشاق بني عذرة وغيرهم ، إلى أن قتل
توبة . وكان سبب قتله أنّه كان يطلبه بنو عوف - فأحسّوا قدومه من سفره ، فأتوه طروقاً ،
وبيّنه وبين الحى مسيرة ليلة ، فومعه أخوه « عبد الله ، ومولاه قابض » فهربا وأسلماه ،
ففى ذلك تقول « ليلي » :

دعاً قابضاً والمرهفات تنوشه فقبّحت مدعواً ، ولبيّت داعياً
فياليت عبد الله حلّ مكانه فأودى ، ولم أسمع لتوبة ناعياً
ومن جيّد ما ترويه به قولها :

فأقسمت ، أبكى بعد توبة هالِكاً وأحفل من دارت عليه الدّوائر
لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المغايرُ
فلا الحى ممّا يحدث الدهر سالمٌ ولا الميت إن لم يصبر الحى ناسرُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠ .

وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بلى وكلَّ امرئٍ يوماً إلى الله صائرُ
فلا يُبعدنَّكَ اللهُ تَوْبَةً هَالِكاً أذا الحربُ إذ دارت عليه الدوائرُ
وأقسمت لا أنفك أبكيك مادعتُ على غصن ورقاه أو طار طائرُ
قتيلُ بني عوفٍ فيالهفتا له وما كنت إياهم عليه أحذرُ

قال أبو القاسم رحمه الله : قولها : « أقسمت أبكى بعد توبة هالكاً » أى : لا أبكى بعد توبة هالكاً . والعرب تضرر « لا » فى القسم مع المعنى - لأنَّ الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون - كقولك والله لأخرجن ، وقال الله عز وجل : « قاله تفتأ تذكر يوسف » أى : لا تفتأ تذكر يوسف . وقولها : « ولا الميت إن لم يصبر الحى ناسر » يقال : نشر الله الموتى فنشروا - أى . أحياهم فحيوا .

قال الشاعر :

لو أسندتُ ميتاً إلى نحرها عاشَ ولمْ يُنقل إلى القابرِ
حتى يقول الناس ممّا رأوا يا عجباً للميت النّاسرِ

ومن أغرب ما روى فى (الصّدَى) ما رواه أبو على من أن ليلي الأخيلية مرت مع زوجها فى بعض نجمعهم بالموضع الذى فيه قبر توبة ، وكانت متزوجة فى بنى الألكح بن عبادة ابن عقيل . فقال لها زوجها : لا بد أن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمى عليه حتى أرى هل يجيب صداه كما زعم - حيث يقول :

ولو أن ليلي الأخيلىة سلّمتُ على ، ودونى جندلُ وصفارُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة . . أو زقاً إليها صدى من جانب القبر صائحُ

فقالت له : وما تريد من رمة وأحجار ؟ ! فقال : لا بدّ من ذلك ، فمدل بها عن الطريق إلى القبر ، وذلك فى يوم قائلٍ ، فلما دلت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام عليه ، إذا بطائر قد استظلّ بحجارة القبر من فيح الهاجرة ، فطار ، فنفرت راحلتها ووقعت ، فأتت !

وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن : البلاء موكلٌ بالملطق . كما يروى أن أحد المولعين بالخمر قال :

إِذَا مِتُّ فَادْفِسْنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ تُرَوِّى عِظَامِي فِي الْمَتِ عَرُوقَهَا
وَلَا تَدْفِنُونِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَاتَ إِلَّا أَذُوقَهَا
وبعد حين من ذلك ، مات ذلك المولع بالخمر ، وزار قبره ذاكرٌ له فإذا هو عليه عريش ،
فتمتع به من ذلك !

عبيد الله بن طاهر وجاريته

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال : أخبرنا أبو العباس المبرّد قال :
دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وقد فسد فظنت أن ذلك لعملة ، فأكثر له من
الدعاء ، فقال : خففْ عليك أبا العباس ، فليس ذلك لعملة ، وانظر ماتحت البساط ، فنظرت فإذا
رقعة فيها :

حَلَفَ الظَّرِيفُ بِقِطْعِهِ يَدَهُ إِنْ مَسَّ مِنْ يَهْوَاهُ بِالْأَلَمِ
حَتَّى إِذَا ضَاقَ الْمَضَاءُ بِهِ جَعَلَ الْفَصَادَ تَحِيَّةَ الْقَسَمِ
قلت : حَسَنُ أَيْهَا الْأَمِيرُ . فما سببه ؟ قال مددت البارحة يدي إلى إحدى الجوارى بالضرب
فَأَلِمْتُ لَهَا نَآلَهَا مِنَ الْأَلَمِ ، فخلعت بقطع يدي ، فأقنيت بالفصد ، ففعلت . وأنشدنا الأَخْمَشُ
لأبي نواس :

مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَقْرُءُ خُفُوقًا وَأَرَاكَ تَرعى النَّجْمَ وَالْعُيُوقًا
وَجَفُونَ عَيْنَكَ قَدْ نَثَرْنَ مِنَ الْبَكَاءِ فَوْقَ الْمَدَامِعِ لَوْلُوا وَعَقِيقًا
لَوْ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانُ عَيْنِكَ سَابِحًا فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ لَمَاتَ غَرِيقًا

بحر هوى ليس له شطّ

أخبرنا أبو بكر محمد بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال :
دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكي ، وبين يديه جارية يقال لها : خنساء ،
وكانت شاعرة ظريفة ، فقال له : اعبت بها فأنشأ يقول :

خنساء خنساء وحتي متى يرتفع الناس وتنحط
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأنني من دقي خيط
فقلت خنساء :

وكيف منجاي وقد حلّ بي بحر هوى ليس له شطّ
يدركك الوصل فتنبؤ به أوقع المهجر فتدحط

حب زينب بنت إسحاق النصراني

من فوائد الرّضى الشّاطبيّ المذكور ، ما ذكره أبو حيان في الحبّ قال : وهو من
غريب ما أنشدنا الإمام الأئويّ رضى الدّين أبو عبد الله محمد بن عليّ بن يوسف الأنصاري الشّاطبي
لزينب بنت إسحاق النصرانيّ :

عديّ وتيمّ لا أحول ذكرهم بسوء ولكني عبّ لها فم
وما يهتري في عليّ ورهطه إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون : ما بال أنصاري تحبهم وأهل النّهي من أعرب وأعجم
فقلت لهم : إنّي لأحسب حبهم سرى في قلوب الخلق حتّى البهائم

التائب من الحب

قال الحجازي^(١) : قال عبد الوارث : كان فيمن يقرأ على مملوك ملبح الوجه ، رضى الخلق ، حاد الذكاء . فخلوت به يوماً ، وداعبته ببارات نفسي عن شدة شغفي به ، فقال لى : حذار أن تمود لمثل هذا الكلام ، فليجذران آذان ، ورب عثرة لسان ، أودت بإنسان ولكن إذا لم تستطع السكمان ، فاكتب لى ما تحب أن تقوله فى ورقة فتكون فى أمان واطمئنان .

قال : فلما سمعت ذلك منه تمسكن الطمع منى ، وكتبت فى ورقة :
يا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ بِهِ الْوَرَى صِلْ هَائِمًا قَدْ ظَلَّ فَيْكَ مُحَيَّرًا
وَأَمْنُنْ عَلَى بَسَاعَةٍ فِي خَلْوَةٍ إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الْمَوَى أَنْ تُؤْجَرَ
وكتبت تحت البيتين كلاماً كثيراً فى هذا المعنى ، ثم دفعت إليه الورقة خلسة .
فلما حصلت الورقة عنده - كتب إلى فى غيرها : إِنْكَ كَتَمْتَ أَنْتَ مِنْ بَيْتِ عَرِيْقٍ
فِي التَّقْوَى . وَسَاقِ عِنْدِي خَطَّكَ شَاهِدًا عَلَى مَا فَرَطَ مِنْكَ ، وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأُطْلِعَنَّ
عَلَيْهَا أَبِى وَغَيْرَهُ . فتصيبك فضيحة الأبد .
أما إن انتهيت فلن أخبر بها أحداً أبداً .
فلما وقفت على خطه ، علمت قدر ما وقعت فيه ، وجعلت أرغب إليه فى أن يرُدَّ الرُّقعة
إلى ، فأبى وقال :

هى عندى رهن على وفائك بالآ لا ترجع إلى التكلّم فى ذلك الشأن .
ولم يسمعنى إلا أن امتثلت ، لأنى رأيت صيانتى وناموسى فى يده ، وثبت عن مثل هذه
المداعبات .

(١) فى نفح الطيب ج ٢ ص ٩٥٢ .

الحب والجمال

حب امتداح النساء

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - من الشعراء المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء ، عن براءة في القصد ، تحمّل في طياتها روحاً لا تؤمن إلا بالواقع ، مهما يكلفه ما قصد إليه ، دون أن يقيم لذلك وزناً في استجلاب مرضاة أحد ، ومهما يعترضه من خصوم أو لائمين ، فمن وسائل قلائده :

مضت الشبية والحبيبة فالتقى
دمعان في الأجنان يزدهجان
ما أنصفتني الحادثات رميني
بمودة عين ، وليس لي قلبان
وقوله من أخرى :

قلت للمئين حين شامت جمالا
من بروق كواذب الإيماض
لا يفرّئك هذه الأوجه الغر
فيارب حمية في رياض
وقوله من أخرى أيضا :

خليلي عهدي بالليالي صوافيا
فما بالها أبذلن جيا بصادها ؟
ولا تحسبا عيشي على فائسي
أورخ يوم الموت يوم افتقادهما
ولست أحب الضوء إلا لوجهها
ولا البدر إلا طالما من بلادها
ولو أنني أنصفتها ورعيتها
لسار فؤادي في طريق فؤادها
خليلي هل أبصرتما مثل أدومي
نفدت وحق الله قبل نقادها

وقال بعض الحكماء : ما آنس الإنسان ، ولا عمر المسكان ، ولا سلى الأحران ،
ولا أمان على الزمان ، مثل البيض العوان .

وفي كتاب مُسْلِمٍ ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « الدنيا متاع ، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

وفي كتاب « الأربعين » للثَّقَفِي عن أبي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قال : سئل النبي - صلى الله عليه وسلم : أىُّ النساءِ خيرٌ ؟ فقال : التى تسره إذا نظر ، ولا تَعْصِيه إذا أمر ، ولا تخالفه فيما يكره من نفسها ، ولا ماله .

وفي « الشَّهاب » : « النَّظَرُ إِلَى الْمَرْأَةِ الْحَسَنَاءِ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ » والله درُّ أبي نَوَاسٍ إذ يقول :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

وقال شاعر آخر :

وَيَقْبَحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ

وقال غيره :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مُحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

أعرابي يصف امرأة

قال العُتْبِيُّ^(١) : سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال : بيضاء جَمْدَةً ، لا يمسُّ الثوبُ منها إلا مُشَاشَةً كَتِفَيْهَا ، وحَكَمَةً تُدَيِّنُهَا ، ورضقُ ركبَتَيْهَا ، وجانيبي أَلْيَتَيْهَا ، وأنشد :

أَبَتْ الرُّوَادِفُ وَالشُّدَى لُحْمَها مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا

وَإِذَا الرِّيَّاحُ مَعَ الْعَمَشِ تَنَاوَحَتْ نَهْنَحَ حَاسِدَةً ، وَهَجْنَحَ غَيُورًا

وقال آخرُ : قَمِيتَ فُلَانَةً حَظَّتْ مِنْ أَمَلِي ، وَلَرُبَّ يَوْمٍ سَرَّتْهُ إِلَيَّ حَتَّى قَبَضَ اللَّيْلُ بَصْرِي دُونَهَا ، وَإِنْ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْفِي الظَّمَاءَ .

(١) في العقد الفريد ج ٢ ص ١١٥ .

وذكر أعرابي امرأة فقال : تلك شمس باهت بها الأرض شمس سعاتها ، وليس لي شفيح في اقتضاها ، وإن نسي لستوم لداها ، ولستها تفيض عند امتلائها . أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمس أرضيها التي تم نورها فباهت بها الأرضون شمس سعاتها
شكوت وما الشكوى لمثلها عادة ولكن تفيض النفس عند امتلائها

وقيل لأعرابي : ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحب في القلب ، فانتقل إلى المعدة ، إن أطعمته شيئاً أحبها ، وإلا فلا . كان الرجل إذا أحب امرأة ، ظلّ حولاً يطوف بدارها ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار ، وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه ، ويمدّها ويمدّه ، فإذا اجتمعا لم يشكوا حباً ولم يندبدا شعراً .

وقال أعرابي يشكو لوعة الحب وكثمانه وصبره على من يحبه ولا يطيق سلوانه :
شكوت فقلت : كل هذا تبرماً يحبني ، أراح الله قلبك من حبي
فلما كتبت الحب قلت : لشد ما صبرت ، وما هذا بفعل شجى القلب
وأدنو فتقصيني فأبسد طالباً رضاها ، فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوءها وتجزع من إمددي ، وتنفر من قرني
فيا قوم هل من حيلة تعلمونها ؟ أشير وأبها ، واستورجبوا الشكر من ربي

الوصف بعد المشاهدة (١)

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبيد العزيز الجرجاني بروائع الكليم في نظم الشعر ، واتخذ لنفسه طرائق سهلة ، غاية في البساطة ، فكان يسمو بوصف ما أحسن به ، واستساغه ، ويكسوه من رقة المعاني أسلوباً جميلاً يقرّبه إلى الفهم ، حتى يتذوق أنشائه المستمع سراباً

(١) في خامس الخامس للنعالي .

عذبا ساسبيلا ، ويملا به المحزون صدره نسيما صافيا عليلا ، ومن بدائع طرفه قوله :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه
الورد : قد أبتغ فى وجنتى قلت : فمى باللثم ينجيه

وقوله ، ولم أسمع فى التعريض بالالتحاء أحسن منه :

قد برح الحب بمشتاقك فأوله أحسن أخلاقك
لا تجفنه وازع له حقه فإنه آخر عشاقك

وقوله فى فصد الحبيب :

يأيت عيني تحمكت الماك وليت كف الطيب إذ فصدت
أعرتة صبغ وجنتيك كما طرفك أمضى من حد مبضعه
فالحظ به العرق واغتيم الماك

وقوله من قصيدة أولها :

من أين للمارض السارى تلهبه وكيف طبق وجه الأرض صيبه
هل استمان جفوني فى تنجده أم استمار فؤادى فهو يلهبه

ومنها :

بجانب الكرم من بغداد لي قمر لولا التجميل ما أنفك أندبه
وصاحب ما صحبت الدهر مذ بمدت دياره ، وأراني لست أصحبه
فى كل يوم لعمري ما يؤرقها من ذكره ولقلبي ما يمدبه
وما البعاد دهاني ، بل خلايقه ولا الفراق شجاني ، بل تجنبه

وله أيضا :

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق أوسع فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن فى الأرض حر بيئتي ولم يك لي كسب ، فمن أين أرزق ؟

أَسْنَانُ النِّسَاءِ (١)

قال أبو الحسن الأخفش : من أحسن ما قيل في ترتيب أسنان النساء ، وإن كان شعرا ضعيفا ، قولُ ضَمْرَةَ لِلنَّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ ، وقد سأله وصف النساء :

مَتَى تَلْقَى بِنْتَ « الْعَشْرِ » قَدْ نَصَّ نَدِيَّهَا .	كُلُّ لُؤْلُؤَةٍ الْغَوَاصِ يَهْتَزُّ جِيْدُهَا
تَجِدُ لَذَّةً مِنْهَا خَفَّةَ رُوحِهَا	وَعُرِّيَّهَا ، وَالْحُسْنُ بَعْدُ يَزِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ « الْعِشْرِينَ » : لَا شَيْءَ مِثْلُهَا	فَتِلْكَ الَّتِي تَلْهُو بِهَا وَتُرِيدُهَا
وَبِنْتُ « الثَّلَاثِينَ » : الشَّفَاءُ حَدِيثُهَا	هِيَ الْمَيْشُ مَا رَقَّتْ وَلَا دَقَّ عَوْدُهَا
وَأِنْ تَلْقَى بِنْتَ « الْأَرْبَعِينَ » فَغَبِطَةُ	وَحَيْرُ النِّسَاءِ : أَوْدُهَا وَوَكُودُهَا
وَصَاحِبَةُ « الْخَمْسِينَ » : فِيهَا بَقِيَّةٌ	مِنَ الْحُسْنِ وَاللَّذَاتِ ، صُلْبُ عَمُودُهَا
وَصَاحِبَةُ « السَّتِينَ » : لَا خَيْرَ عِنْدَهَا	وَفِيهَا ضِيَاعٌ ، لَا حَرِيصَ يُرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ « السَّبْعِينَ » : إِنْ تُلِفَ مُرْسَاً	عَلَيْهَا فَتِلْكَ خَزِيَّةٌ يَسْتَفِيدُهَا
وَذَاتُ « الثَّمَانِينَ » الَّتِي قَدْ تَجَلَّلَتْ	مِنَ الْكِبَرِ الْغَائِي وَقَدْ وَرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ « التَّسْعِينَ » يَرَقَشُ رَأْسُهَا	وَبِاللَّيْلِ مِقْلَاقٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا
وَمَنْ طَالَعَ الْآخِرَى ، فَقَدْ ضَلَّ عَقْلُهُ	وَتَحْسِبُ أَنَّ النَّاسَ طُرّاً عَبِيدُهَا

دَارَةُ يَلْعَبُ فِيهَا الْبَدْرُ (٢)

عُرف الشيخ سعيد السَّعْمَانُ الدَّمَشْقِيُّ ، بحبِّ الجمال ، وشغفٍ بتصوير ما يُعشِّقُ تصويراً حساساً ، ومن قوله مضمناً مصراعهُ الأخير :

يَا رَبِّ ظَنِّي كَالْدَامِ حَدِيثُهُ	فَيُسَيِّغُهُ سَمْعِي وَعَقْلِي يَطْرُبُ
قَدْ خَلَّتْهُ شَمْسُ النَّهَارِ بِكَفِّهِ	مِرَاةُ حُسْنٍ لَوْ أَنَّهَا يَتَدَهَّبُ
وَالْوَجْهُ فِيهَا لَا مَحْ فَسْكَائِهَا	هِيَ دَارَةُ وَالْبَدْرِ فِيهَا يَلْعَبُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي (٢) في سلك الدرر ج ١ ص ٢٠٨ .

وقال العالم أحمد المتيني ، مضمناً نفس المصراع :

عَابَتْهُ وَكَأَنَّهُ مِنْ لُطْفِهِ رَاحُ تَكَادِلُهَا اللَّوَاظِظُ تَشْرَبُ
بِالْعَقْلِ وَالشَّطَرِيجِ يَلْعَبُ وَهُوَ فِي فُسْطَاطِ حُسْنِ الْمَسْرَةِ يَجْلِبُ
يَحْكِي الزَّمَرْدَ خَضِرَةً فَكَأَنَّمَا هِيَ دَارَةٌ وَالبَدْرُ فِيهَا يَلْعَبُ

المرأة والطيب (١)

يَحْمِلُنَ أَرْجَةَ نَضْحِ الْمِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيِيبَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ
الأَرْجَةُ هنا : كنايةٌ عن المرأة شَبَّهَا بِهَا فِي طِيبِ رَأْسِهَا ، وَمَا فِي لَوْنِهَا مِنَ الصُّفْرِ
وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَكْرَهُ بَيَاضَ اللَّوْنِ الْمُفْرَطَ ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يَعْيِيُونَ قَوْلَ الْأَعَشَى :
وَمَنْ كُلَّ بَيْضَاءٍ رُغْبُوبَةً لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّيْنِ
وَكَانُوا يَسْتَحْسِنُونَ قَوْلَ ذِي الرِّمَّةِ :
مِغْرَاهُ فِي نَعِيجِ بَيْضَاءٍ فِي دَعِيجِ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

نتف الوجه بالخيط (٢)

قال الناظم : لَمَّا اسْتَقَرَّ بِنَا الْمَقَامَ ، بَيْنَ إِقْدَامِ وَإِحْجَامِ ، وَدَفَعْنَا الْحَيْنَ إِلَى مَا يُحْمَدُ
عَقْبَاهُ ، قَرَأْنَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :

فَلَمَّا مَضَى شَهْرٌ وَعَشْرٌ لَمِيرَهَا وَقَالُوا : يَجَىءُ الْآنَ قَدْ حَانَ حِينُهَا
أَمَرْتُ مِنَ الْكَتَنَانِ خَيْطًا وَأَرْسَلْتُ جَرِيًّا إِلَى أُخْرَى قَرِيبًا تُعِينُهَا
هَذِهِ امْرَأَةٌ تَنْتَظِرُ عَيْرًا تَقْدُمُ وَزَوْجُهَا فِيهَا ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَنْتَفِ وَجْهَهَا بِالْخَيْطِ وَتَهَيَّأَ لَهُ .
وَالْجَرِيُّ : الرَّسُولُ . يَقُولُ : أَرْسَلْتُهُ إِلَى جَارَةٍ لَهَا تَسْتَعِينُ بِهَا فِي نَتْفِ وَجْهِهَا بِالْخَيْطِ لِلتَّزْنِينِ .
وَبَعْدَ هَذَا سَارَ مُسْتَرَسِلًا مُعَبَّرًا عَنِ الْخَيْطِ بِالسَّلَكِ ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْمَعْنَى ، وَأَسْلَسَ فِي الْمَبْنَى ،

(١) فِي الْاِقْتَضَابِ ص ٣٨٢

(٢) فِي أُمَالِي الْقَالِي ج ١ ص ١٩٨ .

فقال :

فَاذَالَ يَجْرِي السَّلْكُ فِي حَرٍّ وَجْهَهَا وَجْهَهَا حَتَّى ثَنَّتْهُ قُرُونُهَا
ثَنَّتْهُ : كَفَّتْهُ . وَقُرُونُهَا : ذَوَائِبُهَا . وَمِنْهُ قَوْلُ مَجْدُونٍ لَكَيْلَى لَزُوجِهَا :
بِرَّبِّكَ هَلْ ضَمَعْتَ إِلَيْكَ كَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبْلَتْ فَأَهَا ؟
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ كَيْلَى رَفِيفَ الْأَقْحَوَانَةِ فِي شَذَاهَا

تشبيه المرأة ببدر السماء

بَدَتْ لَيْسُ كَأَنَّهَا بَدَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّيْ
قوله : كأنها بدر السماء ، في موضع الحال للمرأة أي : بَدَتْ مُشَبَّهةً الْبَدْرَ ، وَإِذَا تَبَدَّيْ
ظَرْفٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ . أَي : بَرَزَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ كَاشِفَةً عَنْ وَجْهِهَا ،
كَأَنَّهَا قَدْ أُرْسِلَتْ تَقَابَهَا . وَدَلَّ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : كَأَنَّهَا بَدَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّيْ . وَإِنَّمَا فَعَلَتْ ذَلِكَ
إِمَّا لِلنَّشْبِيهِ بِالْإِمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ السَّبَاءُ ، أَوْ لِمَا تَدَاخَلَهَا مِنَ الرَّعْبِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
وَنِسْوَتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا يُخْلَنَ إِمَاءُ ، وَالْإِمَاءُ حَرَارُ

لقاء فتى جميل الوجه في الجنة

ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ عَنْ أَبِي كَامِلٍ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ عَمْرٍو النَّخَعِيِّ قَالَ :
كَانَ بِالْكُوفَةِ فَتًى جَمِيلُ الْوَجْهِ ، شَدِيدُ التَّعَبُّدِ وَالْاجْتِهَادِ . فَنَزَلَ فِي جَوَارِقٍ مِنْ النَّخَعِ ،
فَنَظَرَ إِلَى جَارِيَةٍ مِنْهُمْ جَمِيلَةٍ ، فَهَوِيَ بِهَا وَهَامَ بِهَا عَقْلُهُ . وَنَزَلَ بِالْجَارِيَةِ مَا نَزَلَ بِهِ ، فَأَرْسَلَ يَخْطُبُهَا
مِنْ أَيْبَاهَا ، فَأَخْبَرَهُ أَبُوهَا أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ لِابْنِ عَمِّهَا . فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمَا مَا يَقَاسِيَانَهُ مِنَ أَلَمِ الْهَوَى ،
أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ ، قَدْ بَلَغْنِي شِدَّةَ مَحَبَّتِكَ لِي ، وَقَدْ اشْتَدَّ بِلَاثِي بِكَ ، فَإِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ ،
وَإِنْ شِئْتَ سَهَلْتُ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى مَنْزِلِي . فَقَالَ لِلرَّسُولِ : وَلَا وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ الْخَلْقَتَيْنِ
« إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » أَخَافُ نَارًا لَا يَخْبُو سَعِيرُهَا ، وَلَا يَحْمَدُ لَهْيُهَا .

فلما أبلغها الرسول قوله ، قالت : وأراه مع هذا يخاف الله . والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه لمشتركون . ثم انخلعت من الدنيا ، وألقت علائقها خلف ظهرها ، وجعلت تتعبد . وهي مع ذلك تذوب وتنحل حباً للفتى وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك . فسكان الفتى يأتي قبرها فيبكي عنده ، ويدعو لها . فنلبته عينه ذات يوم على قبرها ، فرآها في منامه في أحسن منظر . فقال لها : كيف أنت وما لقيت ؟ قالت :

نعم المحبة يا سؤلى محبتكم حب يقود إلى خير وإحسان

فقال : على ذلك إلام صرت ؟ فقالت :

إلى نعيم وعيش لا زوال له في جنة الخلد ملك آيس بالفاني

فقال لها : اذكريني هناك ، فأثني لست أنساك . فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد . فقال لها : متى أراك ؟ فقالت : ستأتينا عن قريب فترانا . فلم يعيش الفتى بعد الرؤيا إلا سبعة ليال حتى مات ، رحمه الله . وذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة ، وكان من عباد أهلها ، فسمي القس من عبادته . فرّ يوماً ببجارية تغني ، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاه . فأمر أن يدخل عليها فأبى . فقال له : فاقعد في مكان تسمع غناءها ولا تراها . ففعل فأعجبته . فقال له مولاه : هل لك أن أحوّلها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثم أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشغف بها وشغلت به .

وعلم بذلك أهل مكة . فقالت له ذات يوم : أنا والله أحبك ، وأنا والله أحب ذلك . قالت : فما يملكك ؟ فإن الموضع خال ! قال لها : ويحك ، إنّي سمعت الله يقول : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » . فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة . ثم نهض وعيناه تذرفان بالدموع من حبها !

تكنى المرأة بالشاة أو البيضة (١)

خرج الرشيد في بعض أسفاره . فأخرج معه أخته عاتية ، وكان قد بلغه أنها تعجب بسلام له اسمه « رشا » فأبعده ، وقيل قتله . ثم إنهما علقا من بعده غلاماً آخر اسمه « ظل » فكانت تسكر من ذكرها له . فقال لها الرشيد : والله لئن ذكرته لأقتلنك ، فدخل عليها يوماً على حين غفلة وهي تقرأ قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يَصِبْهَا وَأَبْلٌ فَظَلٌ » . فلما شعرت به قرأت أول الآية « فَإِنْ لَمْ يَصِبْهَا وَأَبْلٌ » ثم أمسكت حتى لا تذكر اسم (ظل) وأكملت قائلة : « فَإِنْ لَمْ يَصِبْهَا وَأَبْلٌ . . . فالذي نهى عنه أمير المؤمنين . فابسم الرشيد وقال لها : « ولا هذا أيضاً يا أختي » .

وقيل إنه أخرج ذلك الغلام من قصره ، فطار قلبها حزناً لفراقه ، وقالت :
 أَيَا سَرْحَةَ الْبُسْتَانِ طَالَ تَشْوِيقِي فَمَلَّ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيلُ ؟
 متى يشتفي من لئس يَرْجَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
 فانظر كيف ورّت « يَظِلُّ عَنْ طَلِّ » بعد أن قدّمت ذكر السرحة . . . وهي الشجرة .
 لتتمكن من لفظة ظل فتبسم الثمرة . وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السرحة أو الشاة أو البيضة أو القلوص ، وهي الشاة من الإبل ، وتكنى بذلك عن المرأة .

وكانت أم حكيم من أجمل نساء وقتها ومن أشجع الناس وأحسنهم بديهة ، خطبها جماعة من أشراف الخوارج فردّتهم ، وكانت مع أمير الخوارج قطري بن الفجاءة ، في جُند (الأباضية) فكانت ترتجز في تلك الحروب وتقول :

أَجَلُ رَأْسًا قَدْ سُمْتُ سَحْلَةً وَقَدْ مَلَلْتُ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

أَلَا فَنِي يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ ؟

والخوارج يقدّونها بالآباء والأمهات ، وكان « قطري » يشبّب بها . وفيها يقول في وقعة دُولاب ، وهو من رقيق الغزل :

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ
 مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا
 لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ الظُّمِّ وَجْهَهَا
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ
 غَدَاةَ طَنْتِ عُلَمَاءَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
 فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا
 وَضَارِبَةً حَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
 أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا
 فَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
 رَأَتْ فَتِيَّةً بَاعُوا إِلَهَهُ نَفْسَهُمْ

وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ « أُمَّ حَكِيمٍ »
 شَفَاءَ لَدَى بَتٍّ وَلَا لَسْقِيمٍ
 عَلَى قَائِمَاتِ الدَّهْرِ جِدُّ كَثِيمٍ
 طِمَآنَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
 وَعُجْنًا صُدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ تَمِيمٍ
 يَمْجُ دَمًا مِنْ فَايِظٍ وَكَلِيمٍ
 أَغْرَ نَجِيبِ الْأُمَّاتِ ، كَرِيمٍ
 لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ ، وَدِيرُ تَمِيمٍ
 تُبِيحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ
 بِجَنَّةٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَتَمِيمٍ

* * *

أَسْمَاءُ النِّسَاءِ (١)

ولابن الوردى فى « أسما » :

أرى أسما إذا غضبت وصدّت
 وإن هى واصلتني طاب قلبى
 ونفها أيضاً :

قد لامننى فى حبّ أسما طاذل
 فاعجب لجرى مدامع أوقفها
 وفى آمنة :

قد وعدتني بالوفا آمنه
 كيف يخاف القلب من بينها

وفيهما أيضاً :

هيفاء كالنصن الرطيب قوامها
تهتدنى بالهجر في الوصل عامداً
ولالأزهرى في أنس :

آنست بالوصل مذ جاءت به أنس
عن مالك قد روى نيران وجنتها

وله في حليلة :

قالوا حليلة صبحت
لم لا ترق لحالي

بفرط وجدى عليه
في الحب وهي حليلة

وفي خديجة :

خديجة قد سبتني
وكانت الروح تقسو

بنسائه خدّ وهيجه
والآن روى خديجه

وفيهما أيضاً :

تمشّق في الهوى قلبي فتاة
أموت بحبّها شوقاً وأحيا

ترين البدر ذو حسن بهيجه
إذا ناديت ياستي خديجه

وفي زينب :

وعرض بذكرى حين تسمع زينب
عساها إذا ما مرّ ذكرى بسمها

وقل ليس يخلو ساعة منك آله
تقول فلان عندكم كيف حاله ؟

وفي سلمى :

لسلمى من لواظها سهام
إذا رامت تشكّ به فؤاداً

لها في القلب فتك أيّ فتك
يموت المستهام بنسير شكّ

وفي عائشة :

أيا دهرُ خبرني بحقّك واشفني
أبجلّ أني في الهبة ميّت

فسهام فكري في أموري طائشة
وحبيبتى من بعد موتى عائشة

وفيها أيضاً :

شغل القلب بقدر أهيف
أنت دعني أن أمت في حبها
تركت منه الموالى طائشة
ثم دعها بعد عيني عايشة

وفي فاطمة :

فاطمة مذ كنت طفلاً بها
كم أرضعتني وصلها بالهنا
مت جوى وهى بذات عاله
ثم اثنت لي بأنها فاطمة

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن لها قامة
قد أرضعت طفل الهوى مرة
عادلة مع أنها ظالمة
بوصلها ثم اثنت فاطمة

وفيها أيضاً :

قاتلتى قد أصبحت
ناديتها يا مهجتي
والبحر منها كاظمه
ما الاسم ؟ قالت : فاطمة

ولالأزهرى في نفيسة :

نفيسة بالها ملكت فؤادى
وقد حازت لفرط سنا بهاها
وأضحت في ملاحتها رئيسة
وذات الحسن مرتبة نفيسة

ولابن الجليل في طالة :

طالة طاملة بالجفاء
قلت لها هل تعلمين الذى
قامتها عادلة ظالمة
ألقاه قالت إننى عاله

وله أيضاً - فيها :

طالة لها على
وأوتيت من كل شى
كرسيها فضل جسيم
ولها عرش عظيم

ولابن الوردى في قابلة :

أقول لقابلة أدمى
أنا رجل مقبل للقا
على حبها تقطع السابله
قالت وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة :

كاتبة توقيع نسخ الجفا
يصدر عن سمها الراحمة
تكنم أسرار رقاعي لها
أحسن بها كاتبة كاتمة

وله في فقيهة :

تفقت في عذابي
وبالنت في جدالي
خود تسيط غرامي
عن طرفها الغزالي

ولالأزهرى - في خياطة :

أحببتها كالبدر خياطة
منزلها في القلب والطرف
فلي ركوب الفرج من وصلها
وللرقيب الشل بالكف

وله في عجانة :

كف الفؤاد بظبية عجانة
ما كنت يوماً آمناً من هجرها
عجنت فؤادي بالنرام فؤاها
من أدمى ودقيقها من خصرها

وله في جبانة - أي بائعة الجبن :

بائعة جبن مُدُّ هُمْتُ بها
رأى الورى روحى بها تعبانه
وكل أهل الحى قد تحققوا
بأننى أموت فى الجبانة

وله في مسخرة :

عجبت فى رمضان من مسخرة
جاءت تسخرنا يوماً فقلت لها
بديعة الحسن إلا أنها ابتدعت
كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

ولابن الوردي في رومية :

رومية الأصل لها مقلّة
تركيّة صارمها هندى
تفضحنى وجنتها فاعجبوا
من وجنة فاضحة الوردى

وله في مصرية :

مصرية كأنها بدر
تلقنى مكرأ ولا
فحل من خلق
ينكر من مص الملق

وله في شاميّة :

شامية شامة بوجنتها
أخشى من اللامة إذا قبلتها
يرقّ لي في حبّها الشامةُ
فشوم يخفى يذوق الصامتُ.

وله في بدويّة :

وب من البدو كلاء الجفون بدت
فلو بدت لحسان الحضر قن لها
في قومها كهافة بين آساد
على الرؤوس وكان الفضل للبادي

وله في عراقية :

بي هيفاء من بنات العراق
ثم قالت : أتيت من باب ابرز
أطلقت أدمعي وشدّت وثاقي
بالعطايا رأيت باب الطّاق

وله في مشرقية :

جاءت من المشرق لا مالدا
وقالت : احذر يافتي فتنةً
في عينها شيء ولاجا هنا
للناس ، والفتنة من هاهنا

وله في مغربية :

يابنات الشرق حاذرن السّطّا
ماظهر البدر من مشرقه
ولالأزهرى في مجوسية :
إن بت الغرب في موكبها
كطلوع الشمس من مغربها

عابدة القور سنا نورها
قد أحرقت قلبي بهجرانها
أوضح لي في الحب أعذارا
فالويل ممّن يعبد النارا

وله في نصرانية :

زنّارُ بت النصارى
رجاني الشدّ منه
فخّ لها أي فخّ
وكثرة الشدّ تُرجي

وقال آخر في مليحة تابع بالشطرنج
لاعبتها بالشطرنج ثم ضربتها
بالحمل شاة تسترت بالفيل
لكن خذي فرسي هناك وفيلي
قلت : فلفسك ، قلت : حصنتها

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما (١)

قيل لأبي السائب المخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسيب ؟
فقال : أَمَا من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا !
والنَّسِيبُ والتَّغْزُلُ والتَّشْبِيبُ كلها بمعنى واحد .
قيل : الغزل هو إلفُ النساءِ والتَّخْلُقُ بما يوافقهن ، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ .
وقد نبه على ذلك « قدامة » وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .
وقال الخاتمي : من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه ، أن يكون ممزوجاً
بما بعده من مدح أو ذم ، متصلاً به غير منفصل منه ؛ فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان
في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فتى انفصل واحد من الآخر وبأينه في صيحة التركيب ،
غادر بالجسم عاهة تنخون محاسنه وتعمى معالم جماله .

يا ليل الصب متى غده (٢) ؟

من نوادر الطرائف ما ذكره « ابن بشكوال » في كتاب الصلة . كما ذكره الحميدى أيضاً .
وهو : كان أبو الحسن ، على الحضري القيرواني ، ابن خالة أبي إسحاق صاحب « زهر الآداب »
حافظاً فاقها ، وأديباً عالماً بالقراءات وطرقها .
وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في « سبئة » وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات
نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر . ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة
التي أولها :

(١) في السبعة : لابن رشيق ج ٢ ص ٩٤ (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٢

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى فَعْدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن عبد الكنانى أبو الفضائل المعروف
بالقمرأوى رحمه الله بأبيات من جملتها :

قد ملَّ مريضك عودُهُ	ورثي لِأَسِيرِكَ حُسَدُهُ
لم يُبقِ جَفَاكَ سِوَى نَفْسِ	زَفَرَاتِ الشُّوقِ تُصَعَّدُهُ
هَارُوتُ يُعْتَمِنُ فِي السَّحَابِ	رِيَّ إِلَى عَيْنَيْكَ وَيُسْنِدُهُ
وَإِذَا أَفْهَمْتَ اللَّاحِظَ فَتَكَ	تَ فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَجُرُّدُهُ
كَمْ سَهَّلَ خَدُّكَ وَجْهَ رِضَا	وَالْحَاجِبُ مِنْكَ يُعَقِّدُهُ
مَا أَشْرَكَ فِيكَ الْقَلْبَ فَكَمْ	فِي نَارِ الْهَجْرِ يُخَلِّدُهُ

أما قصيدة أبي الحسن على الحصرى القيروانى فهي :

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى فَعْدُهُ	أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقَدَ السَّمَارُ فَأَرْقَهُ	أَسَفُ اللَّيْلِ يَرُدُّدُهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَ لَهُ	مِمَّا يَرَعَاهُ وَيُرْصِدُهُ
كَفَيْتَ بَغْزَالِ ذِي هَيْبٍ	خَوْفَ الْوَاشِينَ يَشْرُدُهُ
نَصَبْتَ عَيْنَايَ لَهُ فَرَكَأَ	فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصِيدُهُ
وَكُنِيَ عَجْبًا أَتَى قِنَصُ	لِلسُّرْبِ سَبَائِي أَغِيدُهُ
صَنَمُ الْفِتْنَةِ مُنْتَصِبُ	أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعْبِدُهُ
صَاحِ وَالْخَمْرُ جَنَى لَمِهِ	سَكْرَانُ اللَّاحِظِ مَعْرِيدُهُ
يَنْضَوُ مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفًا	وَكَأَنَّ نَعَاسًا يُغْمِدُهُ
فَيُرِي قُورَ دَمِ الْعُشَاقِ بِهِ	وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلِّدُهُ
كَلَّا ، لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ	عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَأْمَنُ بِجَحَدَتِ عَيْنَاهُ دَمِي	وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوْرِدُهُ
خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدَمِي	فَعَلَامَ جُفُوءِكَ تَجْجِدُهُ

إِنِّي لِأُعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي وَأُظَنُّكَ لَا تَتَمَعَّدُهُ
بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَأَقَ كَرِّى فَلَعَلَّ خِيَالَكَ يُسَعِّدُهُ
مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنِّى صَبَّ يَدُنِيكَ وَتَبَعَّدُهُ
لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلَيْتَنِيكَ عَلَيْهِ عَوَّدُهُ
وَعَدًا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ . . . يَتَزَوَّدُهُ
يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقُ بِاللَّحْمِ يَفِيضُ مَوْرَدُهُ
يَهْوَى الْمُشْتَأَقُ لِقَاءَكُمْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَبَعَّدُهُ
مَا أَحَلَّ الْوَصْلَ وَأَعَذَبَهُ لَوْلَا الْإِيَّامُ تُنْسَكَّدُهُ
بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرَانِ ، فَيَا لِفُؤَادِي كَيْفَ تَجْدُدُهُ
الْحُبِّ أَعْفُ ذَوِيهِ أَنَا غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُهُ

استحسان وضاعة الوجه (١)

كان لعز الدولة غلام ذكى وضىء الوجه ، ولهرط ميله إليه — بجملة رئيس سرية جردت
للحرب ، ولم يستحسن الميلى ذلك منه ، فكتب إليه :

ظَنِّي يَرْقُ الْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرْوِقُ عَوْدُهُ
نَاطُوا بِمَقْدَرِ خَصْرِهِ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تَوُوْدُهُ
جَمَلُوهُ قَائِدَ عَسْكَرٍ ضَاعَ الرَّعِيلُ وَمَنْ يَقُوْدُهُ

وكافت الدائرة على جيش الغلام كما أشار الميلى ! .

وفى « خزانة الأدب » للبندادى ج ٣ :

الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، والجميلة هي التي تأخذ بصرك جملة ،
فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة هي التي كلما كررت بصرك منها زادتك حسنا .

(١) فى نفح الطيب .

وقيل : الجميلة هي السَّعِينَةُ من الجميل وهو الشَّحْم . والمليحة : هي البيضاء ، والصَّبِيحَةُ كذلك ، من الصُّبْحِ لِبَيَاضِهِ .

وروى أنس عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « حُسْنُ الْوَجْهِ مَالٌ » .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « اطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » .

وقال ابن عمر : قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ تَجَاوُزُ الْبَصَرَ : النَّظَرُ إِلَى الْخَضِرَةِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ » .

ونظمها الشاعر فقال :

ثَلَاثَةٌ يُذْهِبْنَ لِلرَّءِ الْحَزْنَ الْمَاءُ ، وَالْخَضِرَةُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنُ

كواكب لا كواعب

كُنْ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ سَرَايَا ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ شَاعِرُ عَصْرِهِ عَلَى الْإِطْلَاق . وَقَدْ أَجَادَ الْقَصَائِدَ الْمَطُولَةَ وَالْمَقَاطِيعَ ، وَأَتَى بِمَا أَخْجَلَ زَهْرَ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ ، كَمَا قَدْ أَزْرَى بِزَهْرِ الْأَرْضِ فِي الرَّيِّيعِ ، تَطَرَّبَكَ الْفَاطِمَةُ الْمُسْقُولَةُ ، وَمَعَانِيهِ الْمَسْهُولَةُ ، وَمَقَاصِدُهُ الَّتِي كَانَتْهَا سِهَامُ رَاشِقَةٍ وَسَيُوفُ مَسْلُولَةٍ .

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ . ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه ، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة واذى بهما قصيدة المقتبى التي أولها : « يَا بِي الشَّمْسُ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبَا » وفيها يقول :

اسْتَبَلَنْ مِنْ فَوْقِ الشُّهُودِ ذَوَائِبًا	فَتَرَكَنْ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْعَةً	غَادَرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا
بِيضٌ دَعَاهُنَّ النَّبِيُّ كَوَاعِبًا	وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدُ قَالَ كَوَاكِبًا

سَفَّهَنَ رَأَى الْمَافِيَّةَ عِنْدَمَا
وَسَفَرُنَ لِي ، فَأَيْنَ شَخْصًا حَاضِرًا
أَشْرَقَنَ فِي حُلِّهِ كَانَ أَدِيمَا
وَعَرَبَنَ فِي كَلِّهِ ، فَقُلْتُ لِمَا حَبِي :
وَمَعْرِيدِ اللَّحْظَاتِ يَثْنَى عِطْفُهُ
حُلُوُ التَّعْتَبِ وَالذَّلَالِ يَرَوْعُهُ
عَاتِبَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ
فَأَرَانِي الْخُلْدَ السَّكِيمَ فَطَرَفُهُ
ذُو مَنَظَرٍ تَغْدُو الْقُلُوبُ بِحُسْنِهِ
لَا غُرُؤَ إِنْ وَهَبَ اللَّوَاظِظَ حَظْوَةً
أَسْبَلَنَ مِنْ ظُلَمِ الشُّعُورِ فَيَاهِبَا
شُدِّهَتْ بِصِيرَتِهِ ، وَقَلْبًا غَائِبَا
شَفَقْتُ تَذْرِهُمُ الشُّمُوسُ جَلَابِهَا
« يَا بِي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا »
فِيُخَالُ مِنْ فَرَجِ الشَّبِيهِ شَارِبَا
عَنِّي ، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبَا
وَأَزُورُ الْمَظَالِمَ وَقَطَّبَ حَاجِبَا
ذُو النَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةُ مُنَاضِبَا
نَهْبًا وَإِنْ مَنَحَ الْعُيُونُ مَوَاهِبَا
مِنْ نُورِهِ ، وَغَدَا لِقَائِي نَاهِبَا

كل فتاة بأبيها معجبة (١)

أرجوزة للأغلب المجلى ، يقول فيها :

كريمةٌ أخوالها والعصبيةُ
كأنها حقَّةٌ يسكُ مذهبهُ
أهوى لها شيخٌ شديدُ العصبيةِ
ثم انتنت به فوق الرقبةِ
قباء ذاتُ سرَّةٍ مُقَمَّبةِ
مكورةُ الأعلى ردَّاحُ الحجةِ
فأعلكت بصوتها : أن يا أبةِ

« كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ »

(١) في خزانة الأدب ج ١ : أرجوزة للأغلب المجلى يقول فيها :

أصل بليتي من قد غزاني (١)

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الجباب الأغابي السعدي الصقلي المعروف بالقاضي الجليس - ما يدعو إلى الحكمة في غزله - وقد عاش نحواً من سبعين عاماً - كما تولى ديوان الإنشاء للفأزر مع الموفق بن الخلال ، ومن مداعبته :

حيّا بتفاحة مخضبة من شفّتي حبه وتيمّني
فقلت : ما إن رأيتُ مُشبهها فاحرّاً من خجلة فكذبني
وقال أيضاً :

وأصلُ بليّتي من قد غزاني من السقم المُلح بعسّكرين
طبيبٌ طُبه كغراب بين يفرّق بين عافيتي وبينني
أتى الحمى وقد شاخت وبلخت فعاد لها الشبابُ بنسختين
ودبرها بتدبيرٍ لطيفٍ حكاة عن سنين أو حنين
فكانت نوبةً في كلِّ يومٍ فصيرها بحذقي نوبتين
وقال أيضاً :

يا وارثاً عن أبٍ وجده فضيلة الطبِّ والسِّدادِ
وحاملاً ردّ كلِّ نفسٍ همت عن الجسم بالعمادِ
أقسم لو قد طببت دهرًا لعماد كونا بلا فسادِ

وقال من جناس بديع :

رُبَّ رِيضٍ سَلَنَ بِاللَّحْظِ بِيضًا مرهفات جفونهنَّ جفونُ
وخسودٍ للدمع فيها خُـدودُ وعيونٍ قد فاض منها عُيونُ

(١) في غزوات الوفيات .

وقال أيضاً :

حَبَّذَا مُشْمَةُ الشَّبَابِ يُمُّ نَذَرُ فِي حُبِّهَا خَلِيعُ الْعِمَّةِ
إِذْ يَذَاتِ الْخَمَارِ أُمْتَحُ كَلِيلِي وَرِذَاتِ الْخِمَارِ أَلْهُو نَهَامِ
وَالْعَوَانِي لَا عَنْ وَصَالِي غَوَانِ وَالْجَوَارِي إِلَى جَوَارِي جَوَادِ

تشبيب عمر بن أبي ربيعة

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، مديدة الجسم مكنتزة جانب وافر من الجمال ، حسنة الصورة ، وفي خلقها ألفة وعزة وصرامة ، حتى رآها يوماً فسبح وقال : كأنها من الخور .

وقد روى أبو الحسن المدائني ، عن عمر وأبي طارق بن المبارك ، أن عمر بن الخطاب قال يشبب بمائشة ابنة طلحة :

أصبح القلبُ في الخيال رهيناً مقصداً يوم فارق الفطام
لم يرُ غنى إلا الفتاة وإلا دمها في الرداء سجاً سعة
عجبت حمةُ الفراق علينا برحيله ولم تخف أن ت
أنتِ أهوى العبادِ قُرْباً ووُداً لو تواتينَ عاشقاً محز
قاده الطرفُ يوم مرَّ إلى الحية من جهاراً ولم يخف أن يح
وجلاً برد بركة جندي ضوء وجهه يضي للناظر
فاذا ظبية تراعى نجاجاً ومهاً بهيج المناظر عين
قلتُ : من أنتم ؟ فصَدَّتْ وقالت أميدٌ سؤالك العالين
قلتُ : بالله ذي الجلالة لَمَّا إذ تبلى الفؤاد أن تصد
أى من تجمعُ المواسمُ أنتم فأبيى لنا ولا تكذ

نحن من ساكني العراق وكُنَّا قبلها قاطنين مكة حيناً
 قد صدقناك أن سألت فمن أذت عسى أن يجزَّ شأن شؤونا
 قد نرى أننا عرفناك بالنَّهتِ نظنَّ وما قتلنا يقيناً
 بسوادِ الثَّنيَّتين ونغمه قد نراه لناظر مستبيناً
 فكانت عائشة تقول : والله ما قلتُ له هذا وما كُلمته قط .

وأبانا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال : دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن
 عبد الملك فحدثته وقالت : يا أمير المؤمنين ، مرَّ لي بأعوان ، فصبر إليها قوماً يكونون
 معها ، فحجَّت ومعهما ستون بنلاً عليها الهوادج والرحائل .

صُبْحُ المشيب يدل على ليل الشباب (١)

قال الأمير أسامة بن منقذ :

قالوا نهاء الأربعون عن الصِّبَا وأخو الشَّيبِ يجوزئمة يمتدى
 كم حار في ليل الشباب ، فدلهُ صُبْحُ الشَّيبِ على الطريق الأقصد
 وإذا عدت سيني ثم تقصَّها ومن المعلوم فتلك ساعة مولدي

الشاعر الغزال (٢)

من روائع البيان ما حكاه ابن حبان ، من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم
 الرواسي ، وجه شاعره الغزال ، إلى ملك الروم ، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني
 وخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني ، وسر به سروراً عظيماً ، وقال من لده
 ودّاً وتسكريباً ، حتى إنه مال إليه ، وقرَّبه لديه ، فطاب منه منادته ، إلا أنه امتنع لما أدرك
 جليلة الأمر معتذراً بتحريم الخمر .

(١) في خلاصة الأثر ج ٣ ص ٢٦ . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ٤٥١ .

فلما أن كان يوماً جالساً عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها. ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسناً وضياءً، فما لبث الغزالُ لا يميل طرفه عنها شغفاً بياهر ما استراه منها، وجعل الملك يحدثه وهو لا يحدّثه. فانكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله. فقال له: عرفته أأني قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فأني لم أر قط مثلاً. وأخذ في وصفها وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكأنما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك للملك الروم، زاد إعجابه بالشاعر الغزال. كما سرّت الملكة بوصفه لها.

غزال قد غزا قلبي (١)

في كتاب «الطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن الغزال، وشهرة اسمه «غزال» أرسل إلى بلاد الجوس، وقد قارب الحسين أو يزيد، وقد وخطه الشيبُ ولكنه كان مجتمعاً الأشد، ضليع الجسم، قسيماً وسيماً، فسأله يوماً زوجة الملك، واسمها (تود) عن سنه. فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيبُ؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم ترى قطّ مُهرأ ينتج وهو أُمّهَبُ؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

كُفِّتَ يا قلبي هوى مُتعباً	غلبت مِنهُ الضَّيْفَمُ الأغلباً
إني تملّقتُ مجوسيةً	تأبى لشمس الحُسن أن تغرباً
أقصى بلاد الله في حيثُ لا	يُلْفَى إليه ذاهب مذهباً
يا تودُ يا وردَ الشباب الذي	تُطْلِع مِن أُرْدَاهَا السكوكباً
بابائي الشخصُ الذي لا أرى	أَحْلَى عَلَيَّ قَلْبِي ولا أعذباً
إن قلتُ يوماً إن عيني رأتُ	مُشَبَّهه لم أعدُ أن أكذباً
قلت: أرى (مؤدّيه) قد نوراً	دُعابةً تُوجبُ أن أدعياً

لها : ما باله . . . إنه قد يُنتج المهر كذا اسمها
نضحكت عجباً بقولي لها وإنما قلت ليكى تمجبا
ولما فهمها - الترجمان - شعر « غزال » ضحكت، وأمرته بالخضاب فقدا عليها،
وقال :

كرت تحسن لي سواد خضابي فكان ذلك أعادني لشبابي
شيب عندي والخضاب لو اصف إلا كشمس جللت بضباب
في قليلا ثم يشبهها الصبا فيصير ما سترت به لذهب
نكري وضح الشيب فائما هو زهرة الأفهام والألباب
ما تهوين من زهو الصبا وطلاوة الأخلاق والآداب

غرام أم جنون

مر الائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف
لم يعين لها اسماً - حتى لا يشهر بها في التشبيب ، ولكيلا يعرفها عند العام ،
دادها من الخالص ، وفي الأبيات التي يناجيها بها معاني قد جمع فيها حسن التعبير ،
وكان عفيفاً في دقة نظمه ، وصفاء تعبيره ، فقال :

كن مني السقم حتى كائنني توهم معني في خفي سؤال
سأحت عيناه عيني في السكري لأشكل من طيف الخيال خيالي
ت بروحي وهي عندي عزيزة وجدت بقلبي وهو عندي غالي
خفت أن تقضي علي منيتي ولم أقض أوطاري بيوم وصال
إن ما ألقى من الوجد أنه صدود دلال لاصدود ملال
كان ذلك الصدد منه ملالة شددت عن الدنيا مطني رحالي

ثمّ مالبث أن استرسل في مواجيدته ، واستلهم مشاعر أناشيده . فـ
 ما بال قلبك يستبين أبـ غرامـ أم جنـ
 برّح الخفاء بما تجنّ فأذهب الشكّ
 حتّى مشى بين الجوا نـح والضلوع هوى
 وإلى متى قلبُ التّـسـيم في يدِ البلوى
 شخّصت له فيك العيون ن وقُسمت فيك
 وسكّبت البابَ الورى بلوا حظّ فيها فتـ
 وقوامُ أغصان الرّيا ض وأين تدركك
 الحسَنُ في الأغصان فنّ وهو في هذا
 من أين للأغصان ذا لك الحسَنُ والسّحر
 أم ذلك الورْدُ الجيني بخسده والياء

سليموس وسلعسة (١)

قال إبراهيم بن المهدي : كنت يوماً بحضرة المأمون ، فقالت لي
 العيث : ياسلموس . فقلت :
 أما لعريب أن ترى غير سلعسة فكوني كما أنت ، تك
 فقال المأمون على الفور :
 فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هُنالك شكّ أن ذا
 قال إبراهيم : فمجببت من فطنة المأمون . وقلت :
 كذا - والله - يأمر المؤمنين قدّرت ، وإياه أردت !

(١) في إرشاد الأديب ج ١ ص ١٦٣ .

عاتكة بنت معاوية

حدثني الكُراني قال : حدثني العُمري عن الهيثم بن عديّ - قال : حدثنا صالح
ابن حسان - قال : وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن العرزيّان - قال : حدثني محمد
ابن عُمَرَ - قال : حدثني محمد بن السريّ - قال : حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد ،
واللفظ لصالح بن حسان ، وخبره أتم . قال : حَجَّتْ عاتِكةُ بنتُ مُعاويةَ بن أبي سُفيان -
فزلت من مَسَكَةِ بَدِي طُوًى ، فبَيْنَمَا هِيَ ذَاتَ يَوْمٍ جالِسةٌ وقد اشْتَدَّ الحَرُّ وانْقَطَعَ الطَّرِيقُ ،
وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جَواريها فرفعن السَّترَ وهي جالِسةٌ في مَجْلِسِها ، عليها
شُفوفٌ لها ، تنظُرُ إلى الطَّرِيقِ ، إذ مرَّ بها أبو دِهْيَلِ الجُمَحِيُّ - وكان من أجْمَلِ الناسِ
وأحسنهم منظرًا . فوقفَ طويلاً ينظر إليها وإلى جمالِها ، وهي غافلةٌ عنه ، فلما فطِنَتْ له
سترت وجهها ، وأمرت بطريح السَّترِ . وشمته ، فقال أبو دِهْيَلِ :

إني دعاني الحَيْنُ فاقتادني	حتى رأيتُ الظَّنِّيَ بِالبَّابِ
ياحُسْنَهُ إذ سَبَّني مُدْبِرًا	مُسْتَتِرًا عَنِّي بِجِلْبَابِ
سبحان من أوقفها حِسرَةً	صَبَّتْ على القَلْبِ بأَوْصَابِ
يَدُودُ عنها إن تطلَّبْتُها	أَبْ لها لَيْسَ بِوَهَّابِ
أحلَّها قَصْرًا مَنيعَ الذُّرى	يُحْمَى بِأَبْوَابِ وَحُجَابِ

وقال أيضاً :

طالَ كَيْلِي وَهَتْ كالمَحْزُونِ	ومَلَّتْ الثَّوَاءُ في جِيْرُونِ
وأطلتُ المَقامَ بالشَّامِ حَتَّى	ظَنُّ أَهْلِي مَرَجَّمَاتِ الظُّنُونِ
فَبَكَتْ خَشْيَةَ التَّدْرِيقِ جُمْلُ	كِبْكَاءِ القَرِينِ إِثْرَ القَرِينِ
وهيَ زَهراءُ مِثْلُ فُؤادِ النِّسْوانِ	مِيزتْ من جَوْهَرِ مَكْنُونِ
وَإِذَا ما نَسَبْتُها لَمْ تَجِدْها	في سَناءٍ مِنَ المِكارِمِ دُونِ
نَمَّ خَاصَرْتُها إلى القُبَّةِ الخَفِضِ	رَءاءِ تَمَشَّى في مَرَمَرِ مَسْنُونِ

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بٍ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سَقْمِي وَتَقَلَّبْتُ كَيْسَلِي فِي فُنُونِ
كَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ هَوًى طَارَ نَوًى أَمْ بَرَانِي الْبَارِي بِصِيرِ الْجُنُونِ

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح

قال ابن بسام^(١): كان المصنم بن صمادح، يوماً مع ندمائه. فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللعب المطرب من ذلك. وحضر أيضاً هناك لاعب مصري ساحر، فكان لمعه حسناً، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد:

كَذَا فَتَلَحَّ قَمَرًا زَاهِرًا وَتَجْنِي الْهَوَى نَاظِرًا نَاضِرًا
وَسَيِّبُكَ سَيِّبٌ نَدَى مُغْدِقٍ أَقَامَ لَنَا هَامِيًا هَامِرًا
وَبَانَ لِيَوْمِكَ ذَا رَوْنَقٍ مُنِيرًا كَنُورِ الضُّحَى بَاهِرًا
صَبَاحَ اصْطَبَحْنَا بِإِسْفَارِهِ لِحَظْنَا مُحْيَا الْمَلَا سَافِرًا
وَأُطْلِمَتْ فِيهِ نَجُومَ السُّكُوسِ فَا زَالَ كَوْكُبُهَا زَاهِرًا
وَأَسْمَعْتَنَا لَاحِنًا فَانِنًا وَأَحْضَرْتَنَا لَاعِبًا سَاحِرًا
وَوَنَاءً . ثَابٍ لَأَلْمَا بِهِ دَقَائِقُ تَكْنِي الْحِجَا حَائِرًا
وَفِي سَوْرَةِ الرَّاحِ مِنْ سِحْرِهِ خَوَاطِرُ ، دَلَّهَتْ الْخَاطِرَا
إِذَا وَرَدَ الْحِظُّ أَثْنَاءَهَا فَا الْوَهْمُ عَنْ وَرْدِهَا صَادِرًا
وَمِنْ حَسَنِ دَهْرِكَ إِبْدَاعِهِ فَا انْفَكَ عَارِضُهَا مَاطِرًا
وَسَمْعُكَ يَجْتَلِبُ الْمَغْرِيَاتِ فَيَجْمَلُ غَائِبُهَا حَاضِرًا

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان

أهدى المنذر الأكبر^(١) إلى أنوشروان ، جارية كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر النسائي ، وكتب إلى أنوشروان يصفها فقال :

إنني قد وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق ، نقيّة اللون والشعر ، مضاء قمراء ، وطفاء كحللاء ، دعيّاء عيّناء ، قنواء شماء ، برّجاء زجاء ، أسيلة الخدّ ، مهيبة المقبل ، جثلة الشعر ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القُرط ، عيطاء عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مشاش المنكب والمضد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطاة البنان ، ضامرة البطن ، خميصاة الخصر ، قرّنى الوشاح ، رداح الإقبال ، رابية الكفّل ، لفاء الفخذين ، ربّاء الرّوادف ، ضخمة الماكمتين ، مفعمة الساق ، مشبعة الخليخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشي ، مكسال الضحى ، بضّة التجرد . وهى سموع للسيد ، ليست بخنساء ولا سفهاء ، دقيقة الأنف ، عزيزة النفس ، لم تغدّ فى بؤس ، رزينة حليلة ، ركنة ، كريمة الحال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغنى بفصيلتها دون جُماع قبيلها ، قد أحكتها الأمور فى الأدب ، فرأىها رأى أهل الشرف ، وعملها عمل أهل الحاجة ، صنّاع الكفّين ، قطيعة اللسان ، رهوة الصوت ، ساكنة ، تزين الولي ، وتشين العدو . إن أردتها اشترت ، وإن تركتها انتهت .

فارس عربي جميل

حكى محمد بن إسحاق^(٢) قال : كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار . وأميل إلى ذكر أيام العرب ، وأحب أن أسمعها وأجمعها ، فنزل علينا فى بعض الأيام فتيان من بنى ثعلبة ، فذهبت إليهم لأسمع من أشعارهم وأجمع من أخبارهم ،

(١) والأمان ج ٢ ص ٢٩ . (٢) فى العزى المحلى ص ٧٦٢ .

فروت بفناء خيمة ، وإذا غلام ما رأيت مثله قط حسناً وجمالاً . له ذؤابتان كأنهما
السبح المنظوم ، تحت ذلك وجه كالقمر ليلة ثمة . وعنده امرأة أحسن منه وأجل ، وأكثر
ما أسمع من كلامها (يا بُنى) ، وهو يتنسيم لها وقد غلب عليه الحياء كأنه كاعب
عذراء ، ولا يرُدُّ لها جواباً من الاستحياء . فاستحسنت ما رأيت منهما ، فدنوت من الحياء ،
فبصرت المرأة بي . ثم قالت لي : يا حصري ، ما حاجتك ؟ . فقلت : لاجبة لي إلا الذي
استحسنت منك ومن هذا الغلام . فقالت : أتحب أن أسمعك شيئاً من خبره ، وهو
خير لك من نظره ؟ . فقلت لها : هائي لله درُّ أهلك . فقالت لي : إني حملته تسعة أشهر ،
فكنا في عيش ضئك كدير ، ورزقي نزرٍ حقير ، حتى إذا شاء الله أن أضمه ، فوضعتُه -
بحمد الله خلقاً سويّاً ، فلا وأبيك ما هو إلا أن وضعتُه حتى من الله علينا ، وأجزل
وسهل وتفضل ، بيمن وجهه وسعادة طلعتة . فسَمَّيْتُهُ (مَالِكاً) ثم أرضعته حوَّلين
كاملين . فلما استتم الرضاع ، نقلته من الهد بيني وبين أبيه ، فنشأ بيننا كأنه شبل
أسد ، نقيه برَد الشتاء وحر الصيف . فلما مرَّ عليه خمسة أعوام ، دفعته إلى مؤدِّب
يُكَلِّمُهُ القرآن ، فقرأه وتلاه ، ونظم الشعر ورواه ، حتى أتمَّ سبع عشرة سنة ، فأركبته
عتاق الخيل فتفرَّس ، وحمل السلاح فتشرس ، ومشى بين بيوت الحى ، وأصغى
إلى صوت الصَّارخ ، وأنا خائفةٌ عليه وجلةٌ مُشْفِقةٌ من الألسنة أن تشينه ، ومن الألفاظ
أن تعينه ، حتى شاء الله أن تُصيبنا سنون أجديت بلادنا ، وكاد يهلك كبارنا وأطفالنا ،
فخرجنا إلى مناهل غير مناهلنا ، ونزلنا في غير منازلنا ، فخرج أصحابنا لطلب ثارهم ،
وخلفه عن الركوب معهم وجع أصابه ، فلا وأبيك ما علمنا حتى دهمتنا الخيل
من العدو ، ولم يتولَّنَّا عقل ، ولا هدونا . فما كان إلا هديته حتى حازوا على الأموال ،
وانهزم الرجال ، وهو في البيت يسألني عن الصوت ، وأنا أكايمه خيفةً عليه .
حتى عمَّت الأصوات ، وبرزت الحجات . فلما سمع ذلك ثار كما يشور الليث الغضب ،
وأسرج فرسه ، ثم أفرغ عليه لامة حرَّبه ، وتقلد سيفه ، واعتقل رُمحه . ثم لحق العدو ،

فطعنَ أدنى فارس منهم فأرداه قتيلاً ، فرجعوا إليه ، فرأوه ولداً طيفاً ، صبيّاً ظريفاً ،
فمطفوا عليه . . . وتلقاهم ضرباً بالسيف ، وطعنوا بالرُمح ، حتى هلك أكثرهم
وفرَّ الباقيون !

غنيّة : شحاذة

لو كان بالصبر الجليل ملاذهُ	ماسح وابل دمعهِ ورذاذهُ
ما زال جيشُ الحبِّ يغزو قلبه	حتى وهى وتقطعت أفلادهُ
لم يبقَ فيه من الغرام بقية	إلا ريسٌ يحتويه جذاذهُ
من كان يرغب في السلامة فليكن	أبداً من الحدقِ المراضِ عيادهُ
لا تخدعك بالفتور فإنه	نظرٌ يضرُّ بقلبك استلذاذهُ
يا أيها الرشاش الذي من طرفه	سهمٌ إلى حبِّ القلوبِ نفاذهُ
دُرٌّ يلوحُ بفيك : من نظّامه ؟	خمرٌ يجولُ عليه : من نبّاذهُ
وقناة ذاك القدّ : كيف تقوّمت ؟	وسنان ذاك اللحظ : ما فولّاذهُ ؟
رفقاً بجسمك لا يذوبُ فإننى	أخشى بأنَّ يجهو عليه لآذهُ
هاروتُ يعجزُ من مواقعِ سحرهِ	وهو الإمام ، فمن ترى أستاذهُ
تالله ما علقت محاسنك أمراً	إلا وعزٌّ على الورى استنقاذهُ
أغرّيتُ حبك بالقلوبِ فأذعنت	طوعاً وقد أودى بها استخوادهُ
مالى أتيتُ اللحظ من أبوابهِ	جهدى ، فدام نفوره وليّواذهُ
إياك من طمع النى ، فعزّزه	كذليله ، وغنيّه : شحاذهُ

العيون

لأعذب العين

قال الشاعر^(١) ابن الصّفي يصف العيون :

هي التي توقع القلب في التعب ، وتوفر نصيبه من أسهم الهم والنّصب ، وترميه بدواهي
الهوان ودواهي الهوى ، وتسلمه إلى مكيدة الغرام ومكيدة الجوى ، لو عذبت بطول السّهر
وكثرة الدّموع وبفيض الشّتون وعدم الهجوع ، وبمسامرة الأحزان والفكر ، وبمراقبة
النّجوم إلى السّحر ، وبعدم الإغفاء وطول السّهر - لكان استحقاقها وجود جود الدمع وإن
طما ، وعدم منال المنام وإن نما :

لأعذب العين غير مُفكرٍ فيما جرت بالدمع أو سالت دما
ولأهجرن من الرقاد لذيذه حتى يعود على الجفون محرّما
هي أوقعتني في حباتل فتنة لو لم تكن نظرت لكنت مسلّما
سفكت دمي فلاسفحن دموعها وهي التي بدأت وكانت أظلاما

ولعلّ موجب هذه الواعظة ، والأناظ التي هي بالتحذير لافظة أني خرجت في بعض الأيام
متفرّجا وسارحا ، وجائلا بطرفي في الرياض وسائحا ، وصحبي صديق لي في المحبة صادق ،
ورفيق لي فيما أروم موافق ، قد ملك كلّ حسن ولطافة ، وجمع كلّ حذق وظرافة ،
ينصبّ لخدمتي لا يعل ولا يسأم ، ويتمب في مرّضاتي لا يكل ولا يندم ، ويجهد في موافقتي
لا يمن ولا ينم ، ويحسن مرافقتي لا يندم ولا يندم ، قد اتخذته جهمينة أخباري ، وكزنا
لخزائن أسرارى ، لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل ، وهو عندي كما قيل :

بروحى من لا أستطيع فراقه ومن هو أرقى من أخى وشقيتى
إذا غاب عني لم أزل متلفّتا أدور بعيني نحو كلّ طريق

(١) في لوحة الشاكي ودعة الباكي .

معاني لفظ العين

للعلامة أحمد السجاعي - المتوفى سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائعة في معاني لفظ العين ،
وهي في قنّها غريبةٌ - قد احتوت على معاني في لفظ (عين) . وقد جعل حروف اسمه في أوائل
آياتها بالترتيب . وهذه هي القصيدة كما نقلت من خط الشيخ مصطفى البدرى في كراسة
« مجموعة لغوية » :

وقد وضعنا^(١) تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده :

أيا ظنيّ الفلّا وكحيلَ عَينٍ ويا بدّرَ الدُّجى وضياءِ عَينِ
(الشمس)

حُميتَ من المسكارِ ياغزالًا حوى كلّ الكالِ بدونِ عَينِ
(الغيب)

ملسكتَ القلبَ منى يا حبيبي وحقّ المصطفى المجرى لِعَينِ
(الماء)

دعانا للهـداية نيم طه رسولٌ قد أبانَ لطُرُقِ عَينِ
(حقيقة القبلة)

أمينٌ سيّدٌ ما فيه شكٌ به تُهدى الأنام بكلِّ عَينِ
(الناحية)

له ذاتٌ خلتُ من كلِّ سوء وقلبٌ قد خلا من شينِ عَينِ
(الرياء)

سما فوقَ السماء ونالَ قُربًا وخاطبَ ربّه وحظيَ بعَينِ
(النظر)

جميلُ النَّفس والأفمالِ قطعًا صفيّ خالصٌ من قُبْحِ عَينِ
(الميل)

(١) وضع تفسير كل لفظ عين بين (قوسين) المنفور له العلامة أحمد تيمور باشا وذلك بالمداد الأحمر.

أذاع الخيرَ فينا كلَّ وقتٍ	وعوَّذَ أُمَّةً من شرِّ عَيْنِ
	(إصابة العين)
عَلَا رَتَبًا فَلَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ	وَأُظْهِرَ دِينَهُ لَخِيَارِ عَيْنِ
	(الجماعة)
يُقيمُ مريمَةَ غُرَّاءَ فينَا	يَهَا . . . كَمْ قَدْ هَدَى مِنْ كُلِّ عَيْنِ
	(الإنسان)
رُؤُوفٌ بِالْعِبَادِ رَحِيمٌ قَلْبِ	عَظِيمُ الْقَدْرِ سَيِّدُ كُلِّ عَيْنِ
	(الكبير)
كَرِيمٌ مُنْتَقَى ، بَحْرُ الْمَطَايَا	فَكَمْ مَنَحَ الْأَنَامَ جَزِيلَ عَيْنِ
	(المال)
عَظِيمٌ مُجْتَبَى قَدْ ظَلَمْتُهُ	لَدَى حَرِّ عِظَائِمُ كُلِّ عَيْنِ
	(السحاب)
خَلِيلُ اللَّهِ أَحَدُ ذَوِ كَمَالِ	بَحِيرُ النَّاسِ مِنْ لَحْظِ بَعَيْنِ
	(المطار)
رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ سَرِيعٌ بَأْسِ	عَلَى قَوْمٍ لَثَامٍ مِثْلَ عَيْنِ
	(الطائر)
كَبِيرُ الْقَدْرِ فِي الدَّارَيْنِ حَقًّا	مُنِيتُ النَّاسِ مِنْ حَرِّ لَعَيْنِ
	(شعاع الشمس)
رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ لَنَا مَلَاذٌ	لَنَا فِيكَ الرَّجَا يَانَسِلُ عَيْنِ
	(الخيار)
فَكَمْ صَرَفَتْ عَنَّا مِنْ كُرُوبِ	بَدُنِيَا ثُمَّ أُخْرَى صَمَدَ عَيْنِ
	(الجد واليقين)
وَخَلَقْتَ مَبْدَأَ الْأَشْيَاءِ حَقًّا	حَبِيبِي أَنْتَ أَوَّلُ كُلِّ عَيْنِ
	(الشيء)

عليك الله صلى مع سلام أصولك مثل ذا من هم كعين
(الذهب)
وآل ثم أصحاب جياً فهم بذلوا لدين كل عين
(الدنيا أو النفس)
وكم قضبوا بسيف الله رأساً من الأعداء . وكم قهروا لعين
(الشديد)
وكم أحيا بهم ربى علوماً منية ومنها ذات عين
(الحضور)
كذا أتباعهم ما قال عبد : أيا ظبي الفلا وكحيل عين
(الباصرة)

وصف العين وأسماء أجزائها

في أول كتاب « سحر العيون » : الباب الخامس في وصف العين وأسماء أجزائها
وعيوبها الخلقية وغيرها . قال المؤلف :

اعلم يا نور الأعيان ، وأعز من إنسان عيون الأجمان ، أن — (مقلة العين) في اللغة هي :
الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، سُميت بذلك من قولهم : مقلت الرجل في الماء :
إذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل في الماء : إذا غاص فيه ، وتماقل الرجلان في الماء : إذا تناوصا
فيه ليعلم أيهما أصبر على الغوص ، فلما كانت — حبة العين غائصة في مائها سُميت : المقلة ،
ويقال : ما مقلت عيني مثل فلان : أي : ما نظرت ، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجي :

لها عين لها غزل وغزل مكحلة . ولي عين تباكت

وحاكت في فعايلها المواضي فبالك مقلة فزكت وحاكت

و (الحدة) . هي السواد الأعظم (في العين) سُميت بذلك لأن البياض مُحَدِّقٌ بها ،

ويقال : أَحَدَقَ الْقَوْمُ بِهِ وَحَدَقُوا بِهِ ... لَفْتَان ... أَي : أَطَافُوا بِهِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ .
وقال الشريف الرضي :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تَرَى وَقَدْ رَأَتْ سَيْفَكَ كَيْفَ مَصَارِعُ الْمُشَاقِ ؟
فَتَكْتَبُكَ الْحَدَقُ الرَّاضُ وَلَمْ تَزَلْ تُشْجِي الْقُلُوبَ جَنَائِدُ الْأَحْدَاقِ

و (الناظر) : السَّوَادُ الْأَسْفَرُ الَّذِي يُبَيِّنُ فِيهِ الرَّأْيُ شَخْصَهُ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : هُوَ مِثْلُهَا ، وَإِنْسَانُهَا ، وَدَوَابُّهَا ، وَنَاطِرُهَا ، وَبَصَرُهَا ، وَضِيئُهَا ، وَغَيْرُهَا وَلُغَبَتُهَا ، وَبُؤْبُؤُهَا ، وَتَمَثَّلُهَا ، وَسَوَادُهَا ، وَحَبَّتُهَا ، وَمَذَلِكُهَا .

قال ابن مطرف : وهذه الأسماء كلها لموضع البصر الذي في حاسة البصر ، والجمع : نَوَاطِرُ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَى الرَّأْيَ صُورَةً نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ لِمَصْفَاةِ ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى صِحَّةِ الْحَاسَةِ بِمَا تَحْمِلُ فِيهِ .

و (الناظران) : عِرْقَانِ فِي الْعَيْنِ يَسْقِيَانِ الْأَنْفَ ، يُقَالُ إِنَّهُ لَمَرْتَعُ النَّاطِرَيْنِ ، وَيُقَالُ لِلَّذِي اسْتَحْيَى مِنْ أَمْرٍ : خَفَضَ لَهُ نَاطِرِيهِ ، وَالنَّاطِرُ يَجْمَعُ عَلَى : نَوَاطِرُ . قال شارح كتاب الفصيح : نَظَرْتُ لِعَيْنِي وَنَظَرْتُ : انْتِظَرْتُ وَتَنْظَرْتُ .

و (نظرت) بمعنى : رَحِمْتُ وَتَفَكَّرْتُ . وَأَنْظَرْتُ الرَّجُلَ : أَخَّرْتُهُ ، وَأَنْظَرْتُهُ : جَعَلْتُهُ يَنْتَظِرُنِي ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (انظرونا) أَي : أُمْهِلُونَا : قال الشيخ برهان الدين القيراطي :

يَا قَاتِلِي بَنَوَاطِرِي أَجْفَانُهَا بِسُيُوفِهَا الْأَمْثَالُ فِينَا تُضْرَبُ
قُلُّ لِلْغَزَالِ أَوْ الْغَزَالَةِ إِذْ رَنْتَ أَوْ لَاحَ يَهْرَبُ ذَا ، وَتِلْكَ تَنْيَبُ

و (الحمايق) : هِيَ بَوَاطِنُ الْأَجْفَانِ ، وَاحِدُهَا حِمْلَاقٌ ... قال ابن مطرف : هِيَ الَّتِي تَرَاهَا إِذَا قَلِبْتَ لِلْكُحْلِ مَحْمُورَةً . وقال الزبيدي : الحمايق : نَوَاحِي الْعَيْنِ ، وَيُقَالُ لِمُؤَخَّرِ الْعَيْنَيْنِ مِمَّا يَلِي الصُّدُغَيْنِ : الْحَقِيمَانِ ، الْوَاحِدُ حَقِيمٌ . وَالْأَشْفَارُ هِيَ حُرُوفُ الْأَجْفَانِ الَّتِي يَنْبُتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ ، وَالوَاحِدُ : شَفْرٌ ، وَمِنْهُ شَفِيرُ الْوَادِي ، وَشَفِيرُ كُلِّ شَيْءٍ حَرَفُهُ .

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

إِذَا كَانَ شَفْرُ الْعَيْنِ فَوْقَ مَحَلِّهَا فَعِنْدِي أَنَا الْأَشْفَارُ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْنِ

و (الأهدابُ) : الشَّعْرُ النَّابِتُ عَليها ، وَاحِدُها : هُدْبَةٌ - بضمّ الهاء وسكون الدال المهملة ، قال الشيخ برهان الدّين :

أهدابٌ لَحِظْتُكَ لِلوَرَى شَرَكٌ فَمَنْ أَوْثَقَتْهُ فِيهِنَّ لَا يَتَقَلَّتْ
كَيْفَ النِّجَاةُ وَرُمِحَ قَدُّكَ مُشْرِعٌ؟ كَيْفَ الْخِلَاصُ وَسَيْفُ لَحِظْتُكَ مُصَلَّتٌ؟

و (المَحْجَرُ) : ما دار بالعين ، وهو ما يبدو من البُرْقُعِ والنَّقَابِ ، وجمعها محاجرٌ ، ويقالُ : مَحْجَرٌ - بفتح الميم وكسرها ، وفتح الجيم وكسرها أيضاً ، وإنما سُمِّيَ المحجر محجراً لأنه مفعول من المحجر وهو المنع ، فكأنه مانعٌ عن العين من جميع جهاتها ، ومنه الحجرة المحيطة بالجدر ، والجمع : الحُجُرَات .

قال الأمير سيف الدّين المشدّ وأجاد :

إِنَّ الْعِيُونَ لَكَ الْحَصُونُ : قَهْدُهَا مُرُفَاتُهَا ، وَجُفُونُهَا الْأَسْوَارُ
وَكَذَا مَحْجَرُهَا : الْخَنَادِقُ حَوْلُهَا وَالْحَافِظُونَ بِهَا هُمُ الْأَنْوَارُ

و (المَاقُ) و (المَوْقُ) : هو طرفُ العينِ ممّا يَلِي الأنفَ ، وهو مَخْرَجُ الدَّمْعِ مِنَ الْعَيْنِ ، وَلِسْلٌ عَيْنٌ مُوقَانٌ ، وفي المَوْقِ وفي جمعه لُغَاتٌ كَثِيرَةٌ يُقَالُ : مَاقٌ - بِالْمَعْرِزِ ، وَجَمْعُهُ آمَاقٌ ، وَمَوْقٌ - غير مهموزٍ ، وَجَمْعُهُ أَمَوَاقٌ وَأَمَاقٍ وَمَاقٍ . وَالْمَقِيَّةُ - لُغَةٌ فِي الْمَاقِ أَيْضاً ، وَالْجَمْعُ مَقِيٌّ . وَالْمَاقُ : مُقَدِّمُهَا . وَقِيلَ : الْمَوْقُ مُؤَخَّرُ الْعَيْنِ ، وَمَاقٍ يُجْمَعُ عَلَى مَوَاقٍ مِثْلُ قَاضٍ وَقَوَاضٍ . وفي الحديث : « كَانَ يَكْتَحِيلُ مِنْ قَبْلِ مَوْقِهِ مَرَّةً وَمِنْ قَبْلِ مَاقِهِ أُخْرَى » . قال التنبّي يمدحُ كافور الأخشيدي :

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ وَرَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا
فَجَاءَتْ بِهِ إِنْسَانٌ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بِيَاضًا خَلْفَهَا وَ (أَمَاقِيَا)

و (الألحَاطُ) : جَمْعُ لَحْظٍ ، وهو مُؤَخَّرُ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الصَّدْغَ وَجَمْعُهَا لِحَاطٌ ، وَلَوْاحِظٌ . فَأَمَّا اللَّحْظَةُ فَهِيَ النَّظَرَةُ وَجَمْعُهَا : لِحَظَاتٌ فِي الْقَلِيلِ ، وَاللَّحْظُ فِي الْكَثِيرِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَجْمَعَ مَوْضِعُ اللَّحْظَةِ . يُقَالُ : لَحِظَ الْعَيْنَ - مِثْلَ رَأَى الْعَيْنَ وَيُقَالُ : لَحِظَ السَّمَاءَ بِطَرَفِهِ يَلْحِظُ لِحْظًا فَهُوَ لَاحِظٌ .

قال شيخ الشيوخ الأنصارى بحماسة :

يا نظرة قد جلت لي حسن طبعه حتى انقضت وأدامتنا على وجل
عابت إنسان عيني في تسرع فقال لي : خُلق الإنسان من عجل
(والطرف) : هو مآل بأحد السوادين : السواد الأعظم ، والسواد الأصغر . قال ابن مطرف :
« طرف العين تحرك أشعارها » ويقال : طرفة عين ، والعين المطروفة منه مأخوذة ، وهو
أن يُصيب سوادها شيء فيتأذى صاحبها به ، وربما أبطلها . وهي « الطرفة » قال الشيخ
علاء الدين الوداعي :

كم دماء مطلولة في هواه وبها ورد خد مطلق
وحديث من السقام صحيح قد رواه عن طرفه مكحول
و (القبل) هو ميل الحدقة في النظر إلى الأنف . وأنشد الثعالبي وقد استحسنه
في « فقه اللغة » له - قول ذي الرمة :

أشهى في الطفلة القبلا لا كثيرا يشبه الحولا
وقال جرير :

وما زالت القتل تمنح دماها بدجلة حتى ماء دجلة (أشكل)
وقول علاء الدين البديوي :

أنا جد أنصار النبي لأنني يا أزرق العينين عبدا (الأسهل)
وأنشدني المولى أبو الفتح محمد الرسام الأزهرى :

رنت رمت فأصاب قلبي ، وأذكت لهيبه
فهو المصاب بعين (شهلاء) وهي المصيبة

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وأغيد كل شيء فيه يعجبني كأنما هو مخلوق على شرط
أجفانه السود ما تخطى إذا رشقت سهامها ، وسهام الليل ما تخطى

وقال علاه الدين الوداعي :

رمتني سود عينيهِ
وما في ذاك من بدع
فأصممتني ، ولم تُبْطِ
سَهَامُ الليل ما تُخْطِ

وقال شهاب الدين الزعفريني :

ملك علي العشاق ، سكران طرفه
شكوت إليه أسر قلبي في الهوى
فلا عجبٌ للَحْظِ منه يُمرُّ يدُ
فوقَّع لي : سِحرُ الجفون يُخلدُ

وقال بشار بن برد :

يا من برايق ريقه يحبي الوري
من سِحر عينيكَ المِهاة تعلمتُ
وبسحر عينيهِ النواعس تُقبلُ
وكذلك التزلان منها تغزلُ

وقال ابن عباد :

وتظرن من خلل الشُّور بأعينِ
وله أيضاً :
مرضى يُخالِطها السَّقامُ صحاح
وسنان قد خدع النَّعاسُ جُفُونَهُ

مذ غصَّ طرفاً بالحِساء فإنني
فحكى بعقلته ذبول التَّرجس
منه استحييت بأن أقبل مؤسَى

وقال المزني :

كأنما سوادُ عيني مُنيّتي
لا تُنْكروا مقاتلي تَجَاهِلًا
مع علمكم بأنّها لوامةٌ
كفبر يا أنفسا لوامةٌ

وقال الشهاب بن القطان :

شاقني (مارس) فصول
وابتنى التعريض ، قلنا :
زهره حاكى عُيونك
لَمَنَ اللهُ قرونك

آفة النظر وغائلته

وكنيت إذا أرسلت طرفك زائراً
رأيت الذي لا كله أنت قادر
ولأبي المباس الصيبي :

قم فاسقني بين خفق الداي والعود
كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا
وله أيضاً :

يقرّ الله عينك يا جهوني
ويا عيني لك البشري ففساي
رغبت عن الهوى وهربت منه
وله أيضاً :

سقتني لتروى الراح روحاً وحققت
على زجس حيّ به فكأثها
وله أيضاً :

إذا ضاق صدري وخفت الصدا
فبالله نبليح ما نرتجى
وله أيضاً :

يغيب البدر يوماً ثم يبدو
إذا لم تطلع الإثنين عصراً
وله أيضاً :

ولقد مررت على الظباء وصادني
تذت لواحظه إلى بأسهم
ظني وعهدي بالظباء تصاد
أغراضها الأرواح والأجساد

وله أيضا :

صبّ المداد وما تمعد صبه فتورد الخد البديع الأزهر
يا من يؤثر حبه في ثوبنا تأثير لحظك في فؤادي أكثر

وله أيضا :

من شاء عيشاً رخيئاً يستفيد به في دينه ثم في دنياه إقبالا
فليظرن إلى ما فوقه أدباً ولينظرن إلى من دونه مالا

وله أيضا :

أدرك بقيّة نفس روحها رمق وقد أذابت هموم النفس أكثرها
وإنما سلمت منها بقيّتها لأنها خفيت ضعفاً فلم ترها

وله أيضا :

ألا حل بي عجب طجب تقاصر وصفى عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من رأيت الهلال على وجهه
وقال آخر في شوق إلى حبيب :

إن نبت عن ناظري فأنتم في القاب يا غاية التمني
والظن أن لا تخون عهدي لا يخيب الله فيك ظني

تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبو سفيان (١)

كان مسافر بن عمرو بن أمية ، يهوى هندًا بنت عُتْبَةَ بن ربيعة ، وله فيها شعر يفتنى به . فلما فارقت زوجها الفاكه بن المغيرة ، خطبها إلى أبيها ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد على « النعمان » يستعينه على أمره ، ثم عاد فكان أول من لقيه أبو سفيان ، وعلم منه أنه تزوج هندًا .

وكان مسافر من أحسن فتیان قريش جمالًا وشمرًا وسخاءً ، وقد عشق هندًا وعشقتة ، فأنهم بها . وقال بعض الرواة : إنها حملت منه ، فلما بان حملها أو كاد ، قالت له : اخرج . فخرج حتى أتى الحيرة ، وأقام عنسد عمرو بن هند ينادمه ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر ، فسأله عن قريش ، فكان مما قال له أنه تزوج من هند بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه ، حتى استسقى بطنه .

وروى معروف بن خربوذ أن مسافرًا قال في ذلك :

الآن هندًا أصبحت منك محرّمًا وأصبحت من أدنى حوّاها رحي
وأصبحت كالقصورِ جمن سلاحه يقلّبُ بالكفّين قوسًا وأسهما

حكمة التعدّد في الاسلام (٢)

إنه لمعلوم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن . قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذّكر لتبين للنّاس ما نزل إلّهم » وإذا تتبّعنا القرآن العظيم لم نجد يذكّر المؤمنين إلّا ومعهم المؤمنات ،

(١) الأغاني ج ٨ .

(٢) في كتاب علم الدين ج ١ لصاحبه على مبارك باشا .

ولا المسلمين إلا ومعهم المسلمات ، ولا الصائمين إلا ومعهم الصائمات . قال تعالى : « وَمَنْ يَمْعَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وقال تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » هو الجنة وما فيها . وهكذا في غير ما آية .

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف ، فسيفف بنفسه على ما ذكر . فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب ، وعليهن ما عليهم من العقاب ، لافرق بين حرٍّ ورقيق ، ومولى وعتيق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا فَخَفِظَتْ غَيْبَتَهُ فِي نَفْسِهَا ، وَطَرَحَتْ زِينَتَهَا ، وَقَيَّدَتْ رِجْلَهَا ، وَأَقَامَتِ الصَّلَاةَ ، فَأَتَتْهَا تُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذْرَاءَ طِفْلةٍ ، فَإِنْ كَانَ زَوْجُهَا مُؤْمِنًا فَهُوَ زَوْجُهَا فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ زَوْجُهَا مُؤْمِنًا زَوْجُهَا اللَّهُ مِنَ الشَّهَادَةِ » . فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلاً عن اتصافه بالفضل ، أن يضيق عمل عامل ، أو يحرم الراجي فضله الشامل ؟

وهنا تمرّض مستشرق إنكليزي في سياق حديث رواه المؤلف وقال : لو علمت نساء أوروبا بقولك لأحببن دين الإسلام ، لكن ربّما يعمنّهنّ هيء آخر أشقّ عليهنّ من كلّ هيء ، وأضرّ . . هو اتخاذ الرجل منكم عددًا من الزوجات .

وردّ على المستشرق بأنه لا دخل لتمدّد الزوجية ولا لدين النصرانية في إحياء العلوم الأدبية ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيوية ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوروبيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه ، فالعرب للأوروبيين في كلّ ما علوه ملاذ ، واحتياجهم إليهم كاحتياج المتعلم إلى الأستاذ .

وأما ما كان من أمر تعدد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين؛ بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التعدد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب الشواريح، نقلاً عن دانيال القسيس، أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متديّنين بدين النصرانية. ومن ثمّ كان لكلّ من غنطاران وشربير وداغوبير الأوّل ثلاث زوجات، ولمّ داغوبير، وهو فلودمير أربع زوجات في آن واحد.

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد، كتب البابا غريغور الثالث إلى الواعظ بدستقاس، حين أرسل إليه يسأله عن جواز التزوّج بامرأة ثانية: « إذا أصيبت المرأة الأولى بداء ينفّسها عن القيام بحقوق الزّوج، جاز له أن يتزوّج بامرأة أخرى، وعليه للمصابة مؤثّرها الضرورة ».

ولعلّ الحكمة في إباحة تعدّد الزوجات عند المسلمين، وعند كلّ من كان على رأيهم، أن التدبير الإلهي لم يزرّ الرّجل بقوة البنية، وطول زمن التّناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعذار المعتادة للنساء في أوقات معيّنة، كالحيض والنفاس، راعى الشرع جانبه لذلك.

وأما حكمة الأفراد التي عوّل عليها النّصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم باطرادها في كلّ طبيعة، ولا بأنّها تقطع ما ينجشونه من الفساد. فقد أتى زمن يمنع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنة ونحو ذلك.

فقال المستشرق الإنسكايزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرّة، فرأيت في السورة الثالثة ما ظاهره الأمر بضرب النساء، مع أنه يُخيلُ بشرف الإنسانية. فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلا إذا علم الزّوج منها خلاف ما كان يعمّد، على أنّه ليس له ذلك من أوّل الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدّبها بالهجر، فإن لم يُجدر الهجر ضربها، بشرط ألا يضربها، وألا يخرج على حُسن العشرة المأمور به

في القرآن ، الذي جعل التشديد عليهن مذموماً ، وصير من عاقبن على كل ما فرط منهن ملوماً ، كقوله تعالى : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ » .
وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « احملوا النساء على أخلاقهن » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يسكن في بيته كالصبي ، فإذا طُلب ما عنده وَجِدَ رَجُلاً .

وقال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم : « ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ . قال : أن تطعمها إذا طعمت ، وتسكوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر ، إلا في البيت » . ومعنى لا تقبح : لا تسمعها المكروه ولا تشتمها أو لا تقل لها : قبحك الله ونحو ذلك .

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثير مما يعظم أمر النساء ويوجب رعايتهن والمبادرة إلى القيام بحقوقهن . وهل حرية النساء إلا أن يعلنن حقوقهن على أزواجهن ، حسبما تقتضيه المروءة ، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهن من خصائص الرجال .
وليس فيما يقبل العقل المنزه عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهن وما اشتتهن ، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهن وأهوائهن على عقولهن .

المرأة التي تزوج عليها زوجها

في « سبعة المرجان »^(١) أشعار عن غير المرأة التي يتزوج عليها زوجها ، منها قول ابن المعتز :

خبروها بأني قد تزوج	ت فظلت تكاتم النيط سراً
ثم قالت لأختها ، ولأخرى	جزعاً : ليته تزوج عسراً
وأشارت إلى نساء لديها	لا ترى دونهن للسراً سترًا
مالقبي كأنه ليس مني	وعظامي أخال فيهن فترا

(١) سبعة المرجان ص ٢٥٧ أشعار .

عدم زواج الرجل بمن يهواها

معلوم أن العرب^(١) كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها ، وكان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها .

قال أبو ريش : كان الرجل إذا عُرف بحبِّ امرأة لم يزوّجوه إياها . وكان إذا سلّم عليها عُرف أنه يهواها ، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام يأْس منها وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه .

رؤية الرجل المرأة عند تزوّجها (١)

قال الأصمعي : الحُسْنُ في العينين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم .
وقالت امرأة خالد بن صفوان له : إنك لجليل يا أبا صفوان . فقال : كيف وليس عندي رداء الجمال ، ولا برنّسه ولا عموده . إن رداءه البياض وأنا آدم ، وعموده الطول وأنا ربّعة ، وبرنّسه سواد الشعر وأنا أشمط . ولكن قولي : إنك مليح ظريف .

وروى أن النبيّ — عليه الصلاة والسلام — خطب امرأة ، فأرسل عائشة — رضى الله عنها — لتتظر إليها ، فلما رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلاً . فقال : بلى ، لقد رأيت خالاً في خدّها اقشعرت منه كلّ شعرة في جسدك .

وقالت عائشة — رضى الله عنها — تصف شعورها حينما رأت جويرة بنت الضحّاك لأول مرة : والله ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجرتي ، فكهرتها . وفي ذلك ما يدلّ على ما كان عليه أزواج النبيّ — صلّى الله عليه وسلّم — من الثيرة عليه ، والعلم بموقع الجمال عنده .
أما نظره — عليه الصلاة والسلام — إلى جويرة حتّى عرف من حسنّها ما عرف ، فذلك لأنّها كانت مملوكة ، لو كانت حرّة ما ملأ عينيه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء .
وجاز أن يكون نظره إليها لأنه نوى تزوّجها .

(١) التبريزي على الحماسة ج ١ . (٢) في الروض الأنف .

وروي أن امرأة قالت للنبي صلوات الله عليه : إني قد وهبت نفسي لك يا رسول الله .
فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها من غيره .
وثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها .
وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة : « لو نظرت إليها فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما » . وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بثينة بنت الضحاك .
وقد أجازته مالك في إحدى الروايتين عنه . ذكرها ابن أبي زيد .

وفي مسند البزار : « لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوجها وهي لا تشعر » .

وفي تراجم البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال لعائشة - رضى الله عنها : أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير ، فسكف عن وجهك ، فقال لي : هذه امرأتك . فقلت : إن يكن من عند الله يُمضيه ، وهذا استدلال حسن . وفي قوله : إن يكن من عند الله سؤال - لأن رؤياه وحى ، فكيف يشك في أنها من عند الله . والجواب : أنه لم يشك في صحة الرؤيا ، ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها ، وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه فمن هاهنا تطرق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لها تأويل .

وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث : لا يخلو نظره عليه الصلاة والسلام إليها من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يضرب الحجاب . وإلا فقد قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - هو بغير شك إمام المتقين وقدوة الورعين . وجورية هي بنت الضحاك بن أبي ضرار بن حبيب بن عائد . وتوفيت في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين أو خمس وخمسين من الهجرة .

رايات من خمر النساء (١)

وَجَهَّ آمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ وَالْيَا عَلَى الْبَصْرَةِ ،
وَقَالَ لَهُ : يَا عُتْبَةُ ، إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى أَرْضِ الْهَمْدِ ، وَهِيَ حَوْمَةٌ مِنْ حَوْمَاتِ الْعَدُوِّ ،
وَأَرْجُو أَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا حَوْلَهَا ، وَيُعِينِكَ عَلَيْهَا . . فَإِذَا قَدَّمَ عَلَيْكَ الْعَدُوُّ ، فَاسْتَشِرْهُ ،
وَادْعُ إِلَى اللَّهِ ، فَمَنْ أَجَابَكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُ ، وَمَنْ أَبَى فَالْجُزِيَّةُ ، وَإِلَّا فَالسَّيْفُ ، وَاتَّقِ اللَّهَ
فِيمَا وَلَيْتَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَنَازِعَكَ نَفْسَكَ إِلَى كِبَرٍ مِمَّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ إِمْرَتَكَ ، وَقَدْ صَحِبْتَ
رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمُرَّرْتَ بِهِ بَعْدَ الدَّلَّةِ ، وَقُوِّيتَ بِهِ بَعْدَ الضَّعْفِ ،
حَتَّى صَرْتَ أَمِيرًا مُسَلِّطًا ، وَمَلِكًا مُطَاعًا ، تَقُولُ فَيَسْمَعُ مِنْكَ ، وَتَأْمُرُ فَيَطَاعُ أَمْرُكَ ،
فِيَالَهَا مِنْ نِعْمَةٍ ، فَاحْتَفِظْ مِنَ النِّعْمَةِ احْتِفَاطَكَ مِنَ الْعَصِيَةِ ، وَلَعَلَّيْ أَخُوفُهُمَا عِنْدِي عَلَيْكَ
أَنْ تَسْتَدْرِجَكَ وَتُخَدِعَكَ فَتَسْقُطَ سَقْطَةً تُصِيرُ بِهَا إِلَى جَهَنَّمَ ، أُعِيدُكَ بِاللَّهِ وَنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ .
إِنَّ النَّاسَ أَسْرَعُوا إِلَى اللَّهِ حَتَّى رُفِعَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فَأَرَادُوا ، فَأَرَادَ اللَّهُ وَلَا تُرِدِ الدُّنْيَا .
وَاتَّقِ مَصَارِعَ الظَّالِمِينَ . انْطَلِقْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي أَقْصَى أَرْضِ الْعَرَبِ
وَأَدْنَى أَرْضِ الْعَجَمِ ، فَأَقِيمُوا . فَسَارَ عُتْبَةُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَأَقَامَ بِالْبَصْرَةِ ، ثُمَّ سَارَ عُتْبَةُ بِالْمُسْلِمِينَ
إِلَى أَنْ لَقِيَهُمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ مِنَ الْفَرَسِ ، فَاقْتَتَلَ الْفَرِيقَانِ .

وَقَالَ نِسَاءُ الْمُسْلِمِينَ : لَوْ لَحَقْنَا بِهِمْ فَكُنَّا مَعَهُمْ ، فَاتَّخَذُنَ مِنْ خُرُجِنَّ رَايَاتٍ ، وَسَرْنَ
إِلَى الْمُسْلِمِينَ ؛ فَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ الرَّايَاتِ ، ظَنُّوا أَنَّ مَدَدًا لِلْمُسْلِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ ، فَانْهَزَمُوا ،
وَوَظَّفَرُ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ !

(١) في « الكامل » لابن الأثير .

كشف وجه المرأة في الإحرام

قالت عائشة - رضى الله عنها^(١) : لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء ، لمنعن من المساجد .

وسئل عقیل - عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ، مع كثرة الفساد في زمانه أهو أولى أم التغطية مع الفداء ؟ فأجاب : بأن الكشف شعار إحرامها ، ولا يجوز رفع حكم ثبت مرعاً لحوادث البدع .

وأما قول عائشة - رضى الله عنها - فإنها ردت الأمر إلى صاحبه فقالت : لو علم لمنع ، ولم تمنع هي .

وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح ، وأجاز للشهود النظر . فليس يبدع أن يأمرها بالكشف ، ويأمر الرجل بالنص ليكون أعظم للابتلاء .

وإنما جاء النص بالنهاى عن النقاب خاصة ، كما جاء النهى عن القفازين ، وعن لبس القميص والسراويل . ومعلوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة ، بل قد أجمع الناس على أن - المحرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها ، وأن الرجل يستر بدنه بالرداء وأسافلته بالإزار .

ومن قال : إن وجه المحرمة ك رأس المحرم ، فليس معه بذلك نص . وقول من قال من السلف : إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل ، بل يلزمها اجتناب النقاب ، فيكون وجهها كبطن الرجل .

وقد قالت عائشة - رضى الله عنها : كنا إذا مر بنا الركب كان سدكت إحدانا جلباباً على وجهها . ولم تكن إحداهن تتخذ عوداً تجمعها بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء ، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة ، ولا أمهات المؤمنين البتة ، لا عملاً ولا فتوى . ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام ، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام .

(١) في بدائع الفوائد .

ومن آثار الإنصاف وسلك سبيل العلم والمدل تبين له راجح المذهب من مرجوحها ،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها (١)

البيضة السكونية (٢) بيضة النعام ، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصفرة التي تضرب فيها .
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والسكونية : المصونة ، والنعام تخفيها بريش ، ولا تبديها للشمس والرياح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّ مِهْنًا بَيْضًا مَكْنُونًا » .

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمنازلة - تقول : غالزني المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طعمت فيها صددت عنك . . . والمليحة
الصورة : الستمليحة . كالدعي والصور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوجت !

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » أسماها « أم عقبة » كانت عند ابن عم لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بعدى والذي تضميرن يا أمَّ عَقْبَةٍ
تُحْفَظِينَ من بعد موتي لما قد كان مني من حسن خلق وصُحْبَةٍ
أم تريدن ذا جمالٍ ومالٍ وأنا في التراب في سجن غُرْبَةٍ

(١) في خزنة الأدب للبغدادى . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعام غالباً .

فَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أَجِيبُكَ بِكَذِبٍ ، وَلَا أَجْمَلُهُ آخِرَ حَظِّي مِنْكَ . وَأَنْشَدَتْهُ :

قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ يَا ابْنَ عَمِّي تَخَافُ مِنْ أُمِّ عَقْبَةَ
سَوْفَ أَبْكِيكَ مَا حَيِّتُ بَنُوحٍ وَمَرَاتٍ أَقُولُهَا أَوْ بِنْدِيَّةُ
فَلَمَّا سَمِعَهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا وَاللَّهِ وَاثِقٌ بِكَ لَكِنْ احْتِيَاظًا أَخَافُ غَدْرَ الدَّسَاءِ
بَعْدَ مَوْتِ الْأَزْوَاجِ يَأْخِرُ مِنْ عَوْدِ فَرَّ قَارِعِي حَقِّي لِحَسَنِ الْوَفَاءِ
إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِي الْعَمَلُ دَفَعْتُ فِكْرِي إِنْ مَتَّ عِنْدَ الرَّجَاءِ
ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانُهُ فَلَمْ يَنْطِقْ حَتَّى مَاتَ . فَلَمْ تَمُكِّثْ بَعْدَهُ قَلِيلًا حَتَّى خُطِبَتْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
وَرَغِبَ فِيهَا الْأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الْخِصَالِ الْفَاضِلَةِ فِيهَا ، فَقَالَتْ مَجِيبَةً لَهُمْ :

سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ وَزَعَامَ حَتَّى نَلْتَقَى يَوْمَ نُحْشَرُ
وَأِنِّي لِنِي شَنْلٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكُفُّوا فَمَا مِثْلِي بِمَنْ مَاتَ يَغْدُرُ
سَأُبْكِي عَلَيْهِ مَا حَيِّتُ بِدَمِيَّةٍ تَجُولُ عَلَى الْخَلْدَيْنِ تَهْمِي قَهْمَرُ

فَلَمَّا تَطَاوَلَتِ الْأَيَّامُ تَنَاسَتْ عَهْدُهُ وَقَالَتْ : مَنْ مَاتَ فَقَدْ فَاتَ .

فَأَجَابَتْ بَعْضُ خُطَّابِهَا فَعَقَدَ عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ الدُّخُولَ بِهَا أَتَاهَا آتٌ
فِي مَنَامِهَا فَقَالَ :

عَقَدْتُ وَلَمْ تَرَعِي لِبَيْعِكَ حَرَمَةً وَلَمْ تَعْرِفِي حَقًّا وَلَمْ تَحْفَظِي الْعَهْدَ
وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفَاظًا لِصَاحِبِ حَلَفْتَ لَهُ بَقَاءً وَلَمْ تَنْجِزِي الْوَعْدَ
غَدَرْتُ بِهِ لَمَّا ثَوَى فِي ضَرْبِهِ كَذَلِكَ يُنْسَى كُلٌّ مَنْ سَكَنَ اللَّحْدَ

فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، انْتَبَهَتْ مَرْتَاعَةً كَأَنَّ غَسَّانَ مَعَهَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، وَأَنْكَرَ
ذَلِكَ مِنْ حَضَرِهَا مِنْ نِسَائِهَا ، فَأَنْشَدَتْهُنَّ الْأَبْيَاتَ ، فَأَخَذْنَ مَعَهَا فِي حَدِيثِ لَيْسِيْنِهَا مَا هِيَ فِيهِ ،
فَتَنَفَّلَتْهُنَّ وَأَخَذَتْ مَدِيَّةً ، فَلَمْ يَدْرِكْنَهَا حَتَّى ذَبَحَتْ نَفْسَهَا . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ :

لَلَّهِ دَرْكٌ مَاذَا لَقِيتِ مِنْ غَسَّانِ
قَتَلَتْ نَفْسَكَ حَزْنًا يَا خَسِيرَةَ النَّسْوَانِ

ومن أثر الإنصافَ وسلكَ سَبِيلَ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ تَبَيَّنَ لَهُ رَاجِحُ الْمَذَاهِبِ مِنْ مَرْجُوحِهَا ،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها (١)

البيضة المكنونة^(٢) بيضة النعام ، ويشبه بها النساء لبياضها ، والشفرة التي تضرب فيها .
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة ، والنعام تخفيها بريش ، ولا تبديها للشمس والرياح لئلا تنير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّ هُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمنازلة - تقول : غالطني المرأة : إذا تماجت عليك في كلامها
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صدت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستملحة . كالدعى والصور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوجت !

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عم لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بهدى والذى تضميرن يا أم عقبة
تحفظين من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلق وصحبة
أم تريدن ذا جلال ومال وأنا فى التراب فى سجن قرية

(١) فى خزانة الأدب للبغدادى . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعام غالبا .

فَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أَجِيبُكَ بِكَذِبٍ ، وَلَا أَجْعَلُهُ آخِرَ حَظِّي مِنْكَ . وَأَنْشَدَتْهُ :

قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ يَا ابْنَ صَمَى تَخَافُ مِنْ أُمِّ عُقْبَةَ
سَوْفَ أَبْكِيكَ مَا حَيِّتُ بِنُوحٍ وَمَرَاتٍ أَقُولُهَا أَوْ بِبَنْدَةَ
فَلَمَّا سَمِعَهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا وَاللَّهِ وَائِقٌ بِكَ لَكِنْ احْتِيَاطًا أَخَافُ غَدْرَ النِّسَاءِ
بَعْدَ مَوْتِ الْأَزْوَاجِ يَا خَيْرَ مَنْ عَوَى ثُمَّ فَارَعَى حَقِّي لِحَسَنِ الْوَفَاءِ
إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِي الْعَمَى دَفْسَكُونِي إِنْ مَتَّ عِنْدَ الرَّجَاءِ
ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانَهُ فَلَمْ يَنْطِقْ حَتَّى مَاتَ . فَلَمْ تَحْكُثْ بَعْدَهُ قَلِيلًا حَتَّى خُطِبْتَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
وَرَغِبَ فِيهَا الْأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الْخِصَالِ الْفَاضِلَةِ فِيهَا ، فَقَالَتْ بِحَيَّةٍ لَهُمْ :

سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ وَزِعَاءَ حَتَّى نَلْتَقَى يَوْمَ نُحْشَرُ
وَأَنَا لَفِي شُغْلٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكُفُّوا فَمَا مِثْلِي بَعْدَ مَا يَغْدُرُ
سَابِكِي عَلَيْهِ مَا حَيِّتُ بِدُمْعَةٍ تَجُولُ عَلَى الْخَلْدَيْنِ تَهْمِي قَهْمُرُ

فَلَمَّا تَطَاوَلَتِ الْأَيَّامُ تَنَاسَتْ عَهْدُهُ وَقَالَتْ : مَنْ مَاتَ فَقَدْ فَاتَ .

فَأُجَابَتْ بِبَعْضِ خُطَابِهَا فَعَقَدَ عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ الدَّخُولَ بِهَا أَتَاهَا آتٌ

فِي مَنَامِهَا فَقَالَ :

عَقَدْتَ وَلَمْ تَرَعِي لِبَعْلِكَ حُرْمَةً وَلَمْ تَعْرِفِي حَقًّا وَلَمْ تَحْفَظِي الْمَهْدَا
وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفَظًا لِصَاحِبِ حَلَفْتَ لَهُ بَتًّا وَلَمْ تَنْجِزِي الْوَعْدَا
غَدَرْتَ بِهِ لِمَا ثَوَى فِي ضَرْبِهِ كَذَلِكَ يُنْسَى كُلٌّ مَنْ سَكَنَ اللَّحْدَا

فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، انْتَبَهَتْ مَرْتَاعَةً كَأَنَّ غَسَّانَ مَعَهَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، وَأَنْكَرَ
ذَلِكَ مِنْ حَضَرِهَا مِنْ نِسَائِهَا ، فَأَنْشَدَتْهُنَّ الْأَبْيَاتَ ، فَأَخَذْنَ مَعَهَا فِي حَدِيثِ لَيْسِيْنَهَا مَا هِيَ فِيهِ ،
فَتَنَغَّلَتْهُنَّ وَأَخَذَتْ مَدِيَّةً ، فَلَمْ يَدْرِكْنَهَا حَتَّى ذُبِحَتْ نَفْسُهَا . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ :

لَلَّهِ دَرُّكَ مَاذَا لَقِيتِ مِنْ غَسَّانٍ
فَقَتَلْتِ نَفْسَكَ حُرْنًا يَا خَسِيرَةَ النَّسْوَانِ

وفيت من بمد ماقد همت بالمصيان
وذو المال غفور لسقطه الإنسان
إنّ الوفاء من اللّٰه لم يزل بمكان

وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى

قالت امرأة حاكية^(١) : كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً ، فقيل لها : هذا الأمير قد جاء ، فتنجيت . ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها ، رأيته وكأنما أوتى ملك سليمان .

ويقال : إن رملة بنت عبد الله ضرة عائشة هذه . قالت لولاة عائشة يوماً : أريني مولاتك مجردة وأنا أعطيك ألفي درهم . فذكرت الجارية ذلك لعائشة ، فقالت : أنا أتجرد لها ولا تعلمها أني عرفت . ثم قامت عائشة فتجردت كأنها تنفسل . وذهبت مولاتها إلى رملة ضرته فأخبرتها ، فأشرفت عليها وتألماتها مقبلة ومدبرة ؛ وأعطت الجارية ألفي درهم وقالت : وددت لو أني أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها ، وذلك لما راعها من حسن جسدها والبض ، وتناسق جمال أعضائه المثيرة للفاتنة .

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندبته قاعة ، دلالة على أنها لا تتزوج بعده . روى الأصفهاني في كتابه « الأغاني » أن عائشة بنت يزيد بن معاوية ، استأذنت زوجها عبد الملك في الحج ، فأذن لها وقال : ارفعي إلى حوائجك كلها ، واستظھري فإن عائشة بنت طلحة تحج معك ، فاستظھرت بكل ما تقدر عليه ، وخرجت بهيئة حسنة فداجتهدت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا ركبت قد جاء فضغطها وفرق جماعتها ، وكان هو ركبت عائشة بنت طلحة !

(١) رواية الأعيان للتراجم ص ٤٣٨ .

القبلة وإباحتها (١)

قالت طائفة من العلماء : القبلة مباحة لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه من التلف في الحين قالوا : لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس ، والقبلة صغيرة ، وهلاك النفس كبيرة ، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر ، ولا خطر أعظم من خطر النفس ، حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك . إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكه . واحتجوا بقول الله تعالى : « الذين يحتنبون كبار الإثم والفواحش إلا اللطم . . . » والحديث الذي يقول : يا رسول الله إنى لقيت امرأة أجنبية فأصبت منها كل شيء إلا النكاح ، قال : أصليت معنا ؟ قال : نعم . قال : إن الله قد غفر لك . فأنزل الله تعالى : « وأقم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » . رجع إلى المقاطيع :

قال أبو الفرج الجوزي :

يا مانع القبلة من خدِّ
فتت قلبي فهو مفتوت
لا تخش أنفاسي ولا حرها
فإنما خدك ياقوت

ولأبي الفضل بن أبي الوفا :

سألتها رشف ريق
مستعذب الطعم حاوي
قالت : فصفه ارتجالاً
فقلت : بسد التروى

ولابن حجة :

وعاشق أزم معشوقه قبلة
في فيه فيها شفاء
ولم يخف من جارحي لحظة
خطافاً وقد باس ولم يخطفاه

ولابن العطار :

جمعت بالراح شملي
فأله يجمع شملك
وكم يد لك عندي
دعني أقبّل رجلك

(١) المنتخبات الشعرية رقم ٦٤٨ شعر تيمور خطوط ص ٨٧ .

ولآخر :

رأيت في مجلسي مليحاً يشبه بدر الدجى وأحسن
سأله قبلةً بخدّ فجاد بالوصل لي وأحسن

وقال آخر :

سأله قبلةً الذّ بها فصدّ عني وقال سروالك
فقلت : لم سيدي ؟ فجاوبني : عاقبة البوس حل سروالك

ولآخر في « مشروط على الخدّ » :

بروحى مشروط على الخدّ أسير وفاودنا بعد التجنب والسّخط
فقال على اللّثم اشتراطنا فلا نرد فقبّله ألفاً على ذلك الشرط
ولبعضهم رحمه الله :

قال الحبيب وقد رشفت رضابه في يوم من رمضان لما زارا
أفطرت ؟ قلت : نعم رأيتك طالماً وهلال وجهك يوجب الإفطارا
ولآخر عنا الله عنه :

قبّات مبسمه فقال تذللاً عند اللقاء له ونحن صيام
أفطرت ياهسدا ، فقلت له : ابتدا الصّوم مع رؤيا الهلال حرام
وقال آخر في الجناس :

إن كفت تألف بالحبيب وقربه فاصبر على جور الرقيب وداره
إن الرقيب إذا صبرت لحكمه ثوأك في مثوى الحبيب وداره

محاسن الخلق والخلق (١)

عن وهب بن منبه - أنه قال : قال موسى عليه السلام : أي رب أي عبادك أحب إليك ؟ . قال : من أذكر برؤيته . وقال وهب : قال داود : يارب أي عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : أي عبادك أفضل إليك ؟ قال : كافر قبيح الصورة ...

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب الجمال . رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدري ، وعبد الله بن مسعود وجماعة .

وعن حديث ابن حديد عن أبي مليكة ، يرفعه : من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً وجعله في موضع غير شائنٍ له ، فهو من صفوة الله من خلقه .

وفي الصحيحين عن أبي بريدة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم . وكان يقول : إذا أردتم إلى بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم .

وفي مליح :

يا من له وجهٌ بدت أنواره	كالشمس عند طلوعها بل أشرق
لولا هواك لما جفا جفنى الكرى	ليلاً ، وبث بدمع عيني أشرق

مروفي آخر :

شبهت بالبدر الحبيب فقال لي	لاح به أثر الصبابة لايح
لا وجه للتشبيه ، قلت : أما ترى	وجه الحبيب ؟ فقال : وجه واضح

وقال له :

وجهه يفوق الهلال حسناً	ويُخجلُ البدر إن تجلى
يقول في الحمال من رآه	أشهد أن لا مليح إلا

وقال آخر :

أُحِبُّ من المردان كلَّ مَهْمَفٍ رشيق الثنى لم يسر في خدّه الشعرُ
فأما إذا ما الشعرُ في خدّه بدا فلا خير في اللذات من دونها السّترُ

وقال آخر :

أظهروا وجهك المليح ثمّ لاموا من افقتن
لو أرادوا جنائتي حجبوا وجهك الحسن

وقال آخر وأجاد :

يا من وهبت له روحى فمذّبتها ورمت تخليصها منه فلم أطق
أدرك بقيّة نفس فيك قد بلغت قبل المات فهذا آخر الرّمق
ولا بن الخطيب في « الحسن » :

الدُّرُّ فوق جبينه يتوقّد والساء في وجناته يتردّد
كتب الهوى بيد إليه يؤكّد بالحسن فوق جبينه يا واحد
وله أيضاً :

جفون معذبي يعلّانه مئى وإن وداده تسكيف
لكننى لم أذا عنه لأنه خبر رواه الجفن وهو ضعيف

ولشهاب الدين بن ناصر الدين :

بي سقام من جفون قد جفونى لست أبرأ
وعيون فاككات من سيوف الهند أبرأ

ولآخر :

كان مقاتله صاد ، وحاجبه نون وموضع تقبيلاته ميم
فصرت أعبد منه في الهوى صنّاً وعابد الصنم الإنسى مخدوم

ولآخر - في العيون :

يا من يشبه رُجساً بنواظر دمع تدبه إن فمك راقد
أين القياس لن يصحّ قياسه بين العيون وبينه ذا ساعد

وقال أيضاً في ذلك :

وخلبي إذا عاتبت ناعس طرفه
ألا فاشهدوا قتلي بسيف جفونه
ولآخر - في العيون السود :

عيونك السود إن مدت سوائها
وإن كان حبل الجفا سود معارفها
ولآخر - في ذلك :

كنت أشتي بحبيبي ألف ناقة سود
أنزل إلى الحرب آخذ عود وأعطي عود
وفي من عينه زرقاء :

بمينه الزرقاء
واعجبا أحبه
في قلبي سهم مطلق
وهو العدو الأزرق

وفي أحول :

قالوا شغلت بأحول فأجبتهم
لا تحسبوا حولاته . . لكنه
وفي من بعينه رمد :

جاء الحبيب وعينه بها رمد
وقال أرجو علاجاً قلت واعجبا
وفي الوجنة الحمراء :

الطرف بمدك قد عادت مدامه
والقلب في الوجنة الحمراء يأسكني
وفي مبتسم الثغر :

جاء بصبح ثغره مبتسماً
قلت له : دمت لقلبي هكذا
فهل تأذن لطيف منك بطرقه
كما بد النار يهواها وتحرقه

يمشي بليل الشعر في دلال
ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب :

قال الحبيب يقول ثنرى إنه
يازيد خذ منه الحديث فإنه
ذو قوقف داء المحبة دافع
حسن رواء مالك عن نافع

وقال في أحور :

وأحور طرفي حار في جماله
وعرينه أفتى أهم وطرفه
وقلبي ، فقل لي ما الذي فيه أصنع
كحيل ، وخذاه من الورد أصبغ

وفي الجليجة كلام الحبوب :

طابوا التليجلج - في كلام معذبي
إن الذي ينسى الكلام لسانه
فأجبتهم والمذر فيه بيان
ولسانه من ريقه سكران

وفي معاينة حسن الحبيب :

لو طابت عيناك حسن معذبي
عين الرشا ، قد القفا ، ردف القفا
مالتني ولسكنت أول من عذر
شعر الدجى ، شمس الضحى ، وجه القمر

ولابن مبارك :

يا أيها المشاق قد جاءكم
أجيد إتلاف روح امرئ
وقال آخر - في من بيده مديّة :
وشادن في يده مديّة

ما كان محتاجاً إلى حملها
فبحظه أقطع من حدّها
جرحها للفتك من غمدها

ولأبي نواس - في أحور ساحر الميدين :

ويلي على أحور ممكور
تختاره الحور علينا كما
وساحر الميدين مسحور
تختاره نحن على الحور

وفي من يكي :

يا قرأ أبصرت في مآتم
لا تبك للميت ياسيدي
يندب شجوا بين أثواب
وابك قتيلاً لك بالباب

وفي من ينظر في المرأة :

وإذا أراد بأن ينزه طرفه
فكأنه وكأنها في كفه
أخذ المرأة بكفه فتفرجاً
شمس الضحى قد قارت بدر الدجى

وفي قواس :

قالت لقواس له طلعة
يا من له وجه كبد الدجى
من رام عنها الصبر لم يقدر
بكم تبيع القوس للمشتري ؟

ولأزميرى في رام :

بأبي وأمي رامياً يسي الحشا
لما أراد إطلاق سهم رامياً
بواحظ تسطو على العشاق
زاد الوري عشقاً على الإطلاق
وفيه أيضاً :

رمى عن قوسه في الطير سهماً
وفوق نحو قلبي سهم طرف
على عجل ولم يحمل رويداً
فلم يخطئ بسهميه السويداً
وفي رمال :

وضارب بالرمل من حسنه
كأن من أبداع في خلقه
مستخرج في الرمل أشكاه
ولا بن الوردى في ذلك :

حكي القضيب والقنا
وقال وصلى غفلة
بالرمل إلا بفيض
والأنامل داخل

وقال في منجم :

ورب منجم قد صد عني
فقلت عسالك ترجع عن قريب
ولي أبداً بطلعته ولوع
فقال الشمس ليس لها رجوع

ولابن الزين في تاجر :

وتاجرٌ شاهدت عشاقه قال على ما اقتتلوا هكذا
والأزميري - في تاجر أيضاً :

وتاجرٌ يمنع عشاقه ما رَدَّ يوماً منها زائراً
وله في شاعر :

لا تمذلوني إذا عشقت شاعراً في فيه نظم الدرِّ يا رفاقي
فهو البديع حسنه لكنه يميل للتصريح في الطباق
ولآخر في الخد :

بدأ في الخدِّ عارضه فأخفى عليه مفيض بالوم يُنرى
وحاول أن يرى متى سُلوًا فقال : لقد تمذّر . قلت : صبري
ولآخر ... اقتباس - في من في خدّه عذار :

رأيتُ في خدّه عذاراً خلعت في حبّه عذارى
قد كتّبت الحسنُ فيه سطرًا ويولج الليل في النهار
ولابن المعتز في ذمّه وهجره :

يارب إن لم يكن في وصله طمعٌ ولم يكن قدح من طول هجرته
فاشف السقام الذي في جفن مقلته واستر بحسن خديّه بلحيته
وله أيضاً - عفا الله عنه :

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفنٍ - وقد تمغت معاني وجهك الحسن -
وكان يعرض عني حين أبصره فصرت أعرض عنه حين يبصرني
وقال آخر :

لسا التحي وحا الإله جالَه وكساء ثوب مذلة وثاق
كتب الزمان بخطه في خدّه هذا جزاء معذب العشاق

وقال آخر :

فأصبح من بعد التَّعَمُّمِ في ضَنْكِ
تناديهما عينا حزنًا : قفانبك

غداً أسوداً بالشَّعرِ أبيض وجهه
على وجهه أضحى بخطى عذاره
ولآخر ... اقتباس :

أذهب الله حسنَه والجمالَ
وكفى الله المؤمنين القتالاً

قتل النَّاسَ بالِّوا حِظَّ حَتَّى
طلعت ذقنه وعيناه كَلَّتْ
ولآخر .. مثله :

بشَّرتُ قلبي بالسَّوءِ المقيمِ
نجاءني منه عذابُ أليمِ

لما بدا في خدّه عارضُ
وقلت غداً عارض ممطرُ
وقال آخر - أيضاً :

وأباد السَّوادُ ضوءَ نهاره
كلَّ من ماتَ سوَّدُوا بابَ داره

قلت لما تشرَّكت عارضاه
إيش هذا فقال لي في جوابي
ولا بن نباتة :

بدَّله بعض الضَّيَا بالظلمِ
ليعلموا كيف زوال النِّعمِ

وأمرؤٌ مقتَه ربهُ
أرسله الله لنا آية
وله أيضاً - رحمه الله :

حتَّى غداً وهو حارِ
دارت عليه الدَّوائرُ

دارت عذار حبيبي
فياله حسن وجهي
وقال آخر :

ظلام على خدّه حنَّسَه
ولحيته كانت المكسَه

وخلَّصني من يدي عشقه
كدست فؤادي من حسنه
وقال آخر . والله درّ قائله :

ولا بصاد ولا ثمودِ
ما فعل الشعر بالحدودِ

ما فعل الله باليهودي
ولا بفرعون من عصاه

ما قيل في الأسماء (١)

في محمد بن عربي :

أحمد عساك تشهد لي أني قتيل عيونك الشجر
فقت الملاح فأنت خاتمها وكذا سميت خاتم الرُّسُل
وفيه أيضاً :

قالوا تشفع بالجمال ولو ثبتت كانت أجود
فأجبت إني مسلم أرجو الشفاعة من محمد
ولابن العفيف :

أيها المودع قلبي نار وجد تنوقد
كيف تستأهل ناراً مهجة تهوى محمد
وفي أحمد :

قد غدا أحمد لي ما أجود وكان بالوصل لنا ينجد
وإن يعد يرضى لمشاقه فالوصل يا أحمد لي أحمد
وفيه أيضاً :

مذ وفا أحمد وعدى وطيب الشوق أحمد
فأنا في كل حال أشكر الله وأحمد
آخر والله درقائه :

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة أظني بها ناري التي لا تخمد
قالوا فمن شئت تحب ؟ فأجبتهم غصن النقا بدر الدجى يا أحمد
وفي أبي بكر :

تمشقت ظبياً فاتن اللحظ فاتراً أبو بكر يدعى خليفة طلعة البدر
فلا تنكروا وجدى فإني محمد وإني من أولى الوري بأبي بكر

وفيه أيضاً :

بروحى أبا بكر فديت ومهجتي له طامة كالبدر والنصن قدّه
مليحاً بيدر التّمّ في أفقه يذرى وناظر من بابل جاء بالسحر
والحجّازى - فيه أيضاً :

بمدح أبى بكر سموتُ فيا له ولا بدع إذ بالفت في مدحه إذا
ولشهاب الدين التليح ، وأنشده لنفسه :
منّ حبيبي ووفاء وعدّا له وحققه
ولا يحبباً من أبى بكر الوفا ما أصدقه

وفى عمر :

ما عليهم في الهوى إذ نظروا حين سمّوك وقالوا : عمر
أبدلوا قافك عيناً غلطاً أخطأوا ما أنت إلا قر

وفى عثمان :

وافى إلىّ بشمعتين ووجهه بضياؤه يزهر على القمرين
ناديت ما الاسم ؟ يا كلّ المنى فأجابني عثمان ذو النورين
لنر في عثمان :

يا أيها العارف في فنّه ومدّعى الفهم وعلم البيان
ما قولكم في أحرف خمسة إذا مضى حرف تبقّى ثمان
وفى علىّ :

قال المذول مذ رأى قلبي به في شغل
بمن فتنت في الورى ؟ فقلت دعنى بعلی
وله عنا الله عنه :

بعلی قد همت ما بين الورى وبه قلبي الممتنى قد بلى
وإذا ما غاب عني شخصه صاح قلبي وحشة يا بعلی

ولابن حجر الحافظ رحمه الله :

قلت : هل لي من دوا
قالوا سلوى كل حب
قد غدا قلبي عليلاً
قلت إلا عن علي لا

والحججazy في عبد العزيز :

إن عبد العزيز قد جاء نحوي
في هواه حقاً لقد طاب ذلي
وللا زهرى في عبد القادر :

حسبي عبد القادر الذي له
وكيف لا أريده بين الوري
لنر في عبد الله :

اسم من أهواء ياسيدي
وأخو الورد تمام اسمه
وفي عبد القوى :

عبد القوى سباني بقده السمرى
وصرت عبداً ضعيفاً في حب عبد القوى
وفي عبد اللطيف :

فتنت بعبد اللطيف الذي
ولا عجب إن بدا لطيفه
وفي عبد الحفيظ :

عبد الحفيظ الندى قد أنجح الله قصده
لا تخشى من ضياع قاله يحفظ عبده
وفي محمود :

يقول لي منكر حال به
فقلت لا تسل بحق الهوى
من لك في ذا الحى مقصود
عنه فقصدى فيه محمود

وفيه يهجو :

ما كنت أحسب أنى أجى إلى زمن
يسبنى فيه كلب وهو محمود
وفى إبراهيم :

عجبت لنار قلبي كيف تبقى
حرارتها وحبك تحتويه
فيا نيرانه كوني سلاماً
وبرداً إن إبراهيم فيه
وفيه أيضاً :

لا زال بابك للمكارم كبة
فُتِرى بها للواردين رسوم
حتى يقول القاصدون بأمرهم
هذا المقام وأنت إبراهيم
ولا بن نبانة في خليل :

ينيب خليل الحسن عنى ليلة
فأسأم من ليل طويل أراقبه
وكيف يطيب العيش عندى والكرى
وليس إلى جنبى خليلاً ألاعبه
ولمزم الدين الموصلى :

قال حبي خليل غيّرت ودى
وتركت الفؤاد مئى عليلاً
بعد عشق الملاح صرت تقيماً
ما تراعى من الأنام خليلاً
وقال فى يعقوب :

يعقوب إننى يوسف قد تركتنى
من الحزن يعقوباً وأصبحت يوسفأ
وأصبحتُ مخذولاً وقد كنت ناصراً
وكنت ملكاً صرت عبداً مكلفاً
ولا بن الحياط - فيه أيضاً :

رأيت أنى فى السكرى لائماً
مبسمك الشافى آلامى
يوسف انبيئنا بتأويله
فقال هى أضعك أحلامي
لنمزم فيه . . وأجاد :

يا سائلى عن اسم من أحببته
إنى بمن أهواه غير مصرح
فإذا أردت بيانه فاعمد إلى
معكوس سابع كلمة فى « سبّح »

وفي موسى :

رأيت في خلق غزالا تحير في وصفه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى فقلت هنا تخلق الذقون

وفي عيسى :

ناديت يا عيسى ترفق بامري أحشاؤه قد أحرقت نهاكا
عيسى بن مريم كان يحيى من يرى وتميت أنت الحي حين يراكا

في داود :

وثقت بأن قلبي من حديد وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هوائك ولا عجيب إذا داود لأن له الحديد

وفيه أيضا :

أمسى يقز بحسنه بدر الدجى وغدا يذوب بحسنه الجلود
فإذا بدا فكأ كما هو يوسف وإذا شدا فكأنه داوود

في سليمان :

له وجنة تدمى من اللحظ رقة يكاد بها ماء الشبية ينهل
فهذا سايمان لركة خده إذا دب فيه النمل كلمه النمل

في خضر :

مهمف طلعتة ليس بها مناظره وقده غصن نضر
يجرى لنا ماء الحياة وثمره لا تمجبوا ماء الحياة فهو خضر

في رجب :

دموعى ربيع والرقاد محرم على جنن عيني مذ هجرت بلا سبب
وفي القلب من شعبان نيران نصفه فجدلى بما أرجو من الوصل يارجب

في شعبان :

شعبان قد أمسى يهزّ معاطفا أبدت حلاوة خصره مع ردفه
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة شعبان كل حلاوة في نصفه

علي بن سودون - في بركات :

رشاً يصيد الأسد في اللقعات
الوجه منه مبارك فإذا بدا
ابن القيصراني في منصور :

يا قمر الوصل في جنة
كم حاربتك الشمس في حسنها
النواجي في نجم :

قد كنت أحسب نجم الدين يمنحني
حتى رمائي في نيران مهجته
وله في سعد :

أنا قد همت بسعد
فاطرح نصحي ودعني
وله في سعيد :

سموا مني مهجتي سعيداً
إذا اجتمعنا يقول صدرى
وله في قاسم :

شكوت له حالي وفرط صبابتي
وقال استعمر صبري وكن متأسباً
ابن المطار في يحيى :

أيمكن سلوتي يحيى ؟ وروحي
وقلبي يشتهي فيه اكتسابي
وله في هاشم :

في هاشم قلبي بدا دايماً
وكسر قلبي صبح في عشقه
من لحظه الفاتك بالعالم
لقلة الإنصاف في هاشم

قد صاد كل فتى وكل فتاة
لا تياسن يا قاب من بركات

ما سكفت ولدانها الحور
وأنت يا منصور منصور

من وصله كل ما أهوى وأختار
فصح عندى أن النجم غرار

وتفانيت بوجهه
إنما المرء بسعده

ولى شقاء به يزيد
هذا شقى إذا سعيد

فتاه دلالاً واثني وهو باسم
فنحن قسمنا وارض بالحب قاسم

تكابد في هواه عليه أشياء
ويرضى أن أموت بحب يحيى

وله في عامر :

حبيبي يدعى في الأنام بعامر
يهدد قلبي بالسدود وبالجمفا

وله في فرج :

وليس لي مخلص أرجو النجاة به
لكن اضمن بيت القائل بن رجا

آخر :

يا لائمي في رشيقي القدر معتدل
أشكو الشدائد من وجد أكابده

للحجاج في أمير حاج :

منلت بزورة للاميد يوماً
وأما إن دعيت أمير حاج

ولابن نباتة في عماد :

قالوا العماد مليح
بحسنه قلت قصدي

لعز الدين الموصل في جرادة :

لقبوه جرادة وهو ظبي
صدته فامتلا فؤادي شجماً

لابن نباتة في إلياس :

أفدى مليحاً في البرايا لم أزل
قالوا أنقطعه كبيراً قلت من

لنزي في إسماعيل :

اسم من قد هويت ست حروف
عيل صبرى تمام اسم حبيبي

نصفها ما تبديت فاستفهموها
ما على العالمين لو فهموها

وأول عشقي ليس لي فيه آخر
على أن فيه منزل الشوق عامر

من الغامر فقد ضاقت بي الحجاج
كلّ الأمور وإن ضاقت لها فرج

انظر فإن غرامي غير ذي عوج
ولست أياس في شكواي من فرج

لك الرحمن بالحسنى يجازي
فلا بدع بحبك للحجاجي

أسبي جميع العباد
أنظر لذات العباد

فاق حسناً ولم أعره شهاده
لا تقولوا بأن صيدى جراده

طول الزمان عليه في وسواس
راحات قلب المرء قطع إلياس

لابن الصايغ، في حسن :

إن الجسود عندما عاين ذا الحسن افتتن
وقال لا بدع إذا أتى علي بالحسن
وفي حسين :

حسين سباني حسنه ولحاظه
وماني بسهم اللحظ قلت له انشد
وفي بدر :

سموه بدرأ وذلك لما
وأجمع الناس إذ رأوه
وفي كمال الدين :

ديني تكمّل مذ جُعلتم قبلي
وغدوت أنشد في البرية كلّها
وفي عزّ الدين :

مولاي عزّ الدين يامن غدا
بكم حقيقة حسنت حالتني
وفي تاج الدين :

بيابك تاج الدين قد جئت مهدياً
فزادت بهاء من عطائك سيدي

الشهاب الصائم، في محبّ الدين :

في ملاح لك شتى
كم ليالٍ مع غزال
ضعف القاب وشتا
يا محبّ الدين بتا

في شرف الدين ، يهجو ، وأجاد :

السيادة	يرجون	الدين	شرف	لقبوه
وزيادة	هو	خير	منه	يرجى

في زيتون يهجو فيه :

لو أنصفوا ستموك زعرورا	ستموك زيتونا فما أنصفوا
وأنت لا زيت ولا نورا	لأن للزيتون زيت يضي

في يونس :

حكي البدر وجهاً قلت بل هو أملس	وقالوا حبيب القلب بدرٌ وقده.
ولو لم يكن بدرًا لما كان يونس	فلو لم يكن غصنا لما كان مائلًا

آخر، وأجاد:

له مقلة سوداء والحدّ أطلس	شفت بفتان اللواحظ أهيف
فيوحشني والحب في القلب يونس	فإن غاب عن عيني قصورت شخصه

في مقبل :

ما زال عنه كلّ يوم يسأل	يامن تحجب عن محبّ صادق
ويقال لي هذا حبيبك مقبل	من لي بيوم فيه يسمح باللقا

في شاهين :

خطف القلوب وبالألحاظ شاهينا	يامن تسمّى بشاهين وسيتمه
فهل ترى أنت يا شاهين شاهينا	قد اشتهدناك بالشاهين لا نفسا

في عنبر :

وعرف رياه قد تمطر	مذ رأني عنبر حبيبي
وشاقتني من شذاه عنبر	أرشفني من لاه خمرًا

في بشير :

وجا كبدري منير	مهبتي سبا	بشير
وللاواصل وافي	بالرضا لي	وقد جاد

في سنبيل :

يقولون لي إذ زار في الحب سنبيل
أهذا شذا مسك تفضوع نشره
وقد فاق رباً نشره كل منديل
فقلت له هذا شذا عرف سنبيل

في كافور :

مذ زار كافورنا البديع سنا
شاهدت من خاله بوجنته
ووجهه حفاً من سنا النور
نقطة مسك تبسّدو بكافور

في مسرور :

يقولون لي مسرور وافاك زياراً
فقلت لهم قد زال همي بوصله
وقد بت بالصباة ماسوراً
وقلبي به في الحب أصبح مسروراً
في ريحان، والله درّه :

فديت ريحان صبا بالجوی
لما رنا بلحاظه من نرجس
وبعد قلبي شفه الأشجان
وبدا بعارض خده ريحان

في صبيح ، وأجاد :

أرى صبيح مهجتي قد سبي
فكيف لي بالصبر عن حبه
وصير الدمع بخدة يسبح
وقد سبي قلبي بوجه صبيح

في مبارك :

مبارك يا عذولي
لو زارني كنت أحظى
أطلت فيه مقالك
منه بكمب مبارك

في فرج :

يا قلب صبراً إذ أتاني فرج
وربما تبلغ المراد وكم
عساك بالوصل منه تبتهج
قد جاء عند الضيق الفرج

وما قيل في المهن والحرف

في إسكاف :

ربّ إسكاف مليح حسنه ذاب قلبي منه صدأ وجفا
كلّما أشكو إليه سقمي قال ما عندي سوى هذا الشفا

في بخاتق :

تسلطن في الملاح بخاتق ولم يرض بيدر التم نايب
وصفّ له من الأتراك جنداً وأصبح موكباً تحت العصايب

في حباك :

يا مليحاً مهذب مقلته صاد قلبي منه بالشرك
مذ رأيت الحبك صنمته قلت هذا البدر في الحبك

عز الدين الوصلي، في حجام :

وطجم في السكاس أجرى دماً من ساق ساقينا بإشفاق
لكنّه خالف في شرطه فتحكم الكاس على الساق

في حررى :

حررى يبيع الحسن لكن شبيه النصف والبسدر النير
كسى جسمى السقام ولا عجيب لثوب السقم من هذا الحررى
وما أحسن من قال ما ينسج على تسكة .. وأجاد :

أنا قفل من حررى ... فوق خصر مستدير
أنا لا أفصح إلا ... عند أوقات السرور

وقال في حداد، وأجاد :

تمشقت حداداً بديع ملاحه له طامة في الحسن تعلو وتشمخ
إذا رمت بالطريق وصلاً بقربه أراه ستر الفيظ ثم ينفخ

في حلاوى :

ريق الحلاوى أحلى من حلاوته
والدمع سكب وأحشائي تقوّمه
لابن الوردى فيه أيضاً :

الحلاوى قال لى
سهم عيني مسير
والصفدى فيه أيضاً :

إن هذا الصبي الحلاوى أضجى
لا تعارضه في هواه بشكوى
في حوايجي :

حوايجي أتيت أسأله
في عنقي دمل به ورم
لابن الوردى، في خياط :

لما أتى والمتن في يده . . .
فقال وسلاً يمز قات له
وأيضاً فيه :

مررت بخياط حكى البدر طلعة
بقدر وبفري الثوب ثم يخطه
وللازميرى فيه أيضاً :

لله خياط إذا سأله
وإن شكوت غمتي لردفه
في ذهبي :

عشقتة ذهبي اللون طلعت
إن مات طبيباً إليه ليس ذا عجب

في خصره دنف والرّدف منقوش
والحد مّنى بماء الدمع مرشوش

أنا لأحسن معدن
وعسدى مكمن

يتجنى على الكتيب ويحقد
دعه في دسّته يحل ويمقد

قلت له يا أخا الرضا صف لى
قال يداوى بمرهم النخل

وفصل العاتقين والبدن
العازر الوصل يا مليح أنا

وشا كل غصن البان لما انثنى قدّا
فلم ثوب قلبي لا يخاط وقد قدّا

وصلاً أراه جا بالمطلوب
فرجها بالوصل والركوب

أبهى من البدر بل أبهى من الشهب
فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وفيه أيضاً :

إلى الذهبي صبا قلبي وكم يدعو للمطرب
ألم ترني على شفق أحب الرضع في الذهب

وفي راشد :

أقول لراشدى لما تبسدى عساه يكون لي بالوصل ناجد
بحسن جمالك الحسن المفسدى إلى العشاق قد وافاك راشد

وفي رسام :

هويت رساماً كبدد الدجى وثغره كالدرر إذا تبسم
قلت له سلى ولو ساعة قال بهم ؟ قلت : بما ترسم

وفي رفا :

يا رافيا قطع كل ثوب يا بنينة النفس يا مرادى
عسى بخيط الوصال ترفى ما فرق الهجر من فؤادى
وللمفدى فيه أيضاً :

ورفا له وجه مليح محاسنه البديعة ليس تخفى
شملت به الفؤاد ولا زمانا أرى ثوب الفؤاد يعد زرفاً

في بياع ريحان :

يا صاح ريحاننا قد زارنى وبكاس فيه لما سقانى
لما نظرت إلى شقايق خده سلب الفؤاد عذاره الريحان

وللمفدى في سكرى :

سبنتى صفات السكرى الذى له بضاعته حتى عدت قرارى
مكرر لفظ في سديئات مبسم وأحر خدّ في نبات عذارى

ولابن العربى . . في مليح يسبي الفؤاد :

وظي بطرق بمرآته فيسبي فؤادى من لطفه
وهيهات أن أرتجى من هواه خلاصاً ودغنى في كفه

ولبدر الدماميني، في سبائك :

سبائك تبر وفضة صنعته
قلت له سبني أنا وأخي
وقال آخر، وأجاد، في سروجي :
فتنت به سروجياً بديعاً
إذا جذب الغرام له عنائي
في سقا :

لله سقا له طلعة
أروم أن يسكب لي قربة
وللأزميري فيه أيضاً :

عشقت سقا كالزال رضابه
يروي البرد عن ماء كاملاً
ولشيخ الشيوخ بحماسة، في شرابي :
سألته من ريقه شربة
فقال أخشى يا شديد الظما
ولابن الصايغ، في شماع :

نظرت إليه شماعاً مليحاً
له خدّ جمر لا لهيب
موالياً في صابوني :

حبّيت أهيف رقيق الحصر صابوني
والله لو فتشوا قلبي لصابوني
ولبدر الدين الدماميني، في صايغ :

وصايغ شادن هام الفؤاد به
يا ليتني كنت منفاخاً على فمه
وحبه في صميم القلب قد رسخا
حتى أقبل فاه كلما تفخا

نواه قلبي فسرّه إذ ذاكا
قال نعم مذ عشقت سبائك
به قد ذبت وجداً من ضحيج
يلدّ لي الركوب على السروج

لكلّ حين قد غدا راويه
وعبرتي من صبوئي راويه

فكأنه من نحر فيه قد انتشا
وإليه قلبي لم يزل متمطّشا

أطنى بها من كبدي جمره
أن تتبع الشربة بالحسره

جميع الحسن منسوب إليه
يندوب الشمع من أسف عليه

لما هجر قلت عين الناس صابوني
ما خلت عنه ولو بالنبل صابوني

وحبه في صميم القلب قد رسخا
حتى أقبل فاه كلما تفخا

وله أيضاً في طيب :

طبيب يحاكي النعنع في حركاته
عجباً له يرى السقام بلفظه
وله في طحان :

لله طحان تبدى وجهه
وجناته ماء ولكن قلبه
وله أيضاً في عطار :

قلت لعطار به صبوتي
أسقيتني كأس غرامي به
وفي مديح جالس عند عطار :

وعطار مررت عليه يوماً
فقلت له أعندك ماء ورد ؟
ولابن الفرس، وأجاد، في عوام :

يا حسن عوام كغصن النقا
ويقنع العشاق منه بأن
وقال آخر، وأجاد، في فاخران :

سباني فاخران بديع حسن
فهمت من الفرام له بحب
وفي قباني :

أشرت إلى الحبيب وقد تبدى
فدل بحسنه تيهاً ونادى
ولاسيد محمد رضوان الرطاد - في قصاص :

أشكو إلى الله قصاصاً يجزئني
إن تحسن القص ينأه فقلتُهُ
بالصد والهجر أنواعاً من القصص
أيضاً تقص علينا أحسن القصص

في بايع الكتان :

ربح محبة لم يزل قلبه
من طلب التسريح من حبه
ولا بن الوردى - في كفتي :

لا أرى من محبة لي مخرجاً
قرأ طرز بالبدر الدجى
ولا بن العفيف - في كواني :

اسم حبيبي وما يعانى
قالوا على فقلت قدرد
وقال آخر ، في ملبح مكحول :

يا أيها الرشا المسكحول ناظره
إن انماسك في التيار حقق أن
ولا بن الوردى ، في مزين :

بأبي شادب تملك روحى
مسك الكلبتين قلت عجيب
ولأبي الفضل بن أبي الوفا ، في مجبر :

أحببت من بين الأنام مجبراً
ناديته قلبى كسير بالجو
ولا بن الوردى ، في مياميزى :

صاح هذا المياميزى عارضه
وجد بالوصل لي يوماً رفست على
ولآخر - لبائع الفخار :

بائع الفخار بدر
ما الذى تبغيه متى
قال للماشق جهره
قال قصدي ألف جره

وفي ملالي :

ملالي المـراق نوى حجازا به العشاق وجسداً قد أمالا
إذا سألوا وداعاً لم يجيبهم بلا إيه ولا نعم ولا لا
وقال ابن عربي ، في ناتف :

وقالوا دع المحبوب وأهجره دائماً أَلَمْ تَرَهُ بعـد المـلاحـة ينتف
أينتف من أجلى ويتعب نفسه وأهجره تالله ما أنت منصف
ولابن الوردي ، في نطاع :

هويت نطاعاً إذا جيتسه بادرنى بالـلحـظ والـصـفـع
أروم أن أحظى بوصوله وقد قابلي بالسيف والنطع
وللسراج الوراق ، في وراق :

يا حسن وراق أرى خدّه قد راق في التقبيل عندي ورقّ
تميس في الدكان أعطافه ما أحسن الأغصان بين الورق
وقال ابن حبيب فيه أيضاً :

فتنت بحسن وراق تفور بقاب السبّ نار البحر أصلاً
سقيّل الوجه كم ذرح لديه وبغضب إن طلبنا منه وصلاً
وللسيد محمد رضوان الرعاد ، في وقاد :

أحببت وقاداً كبدر طالع أنزلته برضى الغرام فؤادى
وأنا الشهاب فلا تعاند عاذل إن مات نحو الكوكب الوقاد
وللصنديّ ، في قطان :

قطاننا مهف تعثّه أردافه
ناديت من وجدى به ياليتنى ندافه

وله في يباع مرسين :

يا صاح مرسيننا لو زارنى يوماً لكان بوصله يشفينى
لما نظرت إلى رياض خدوده سلب الفؤاد عذاره المرسينى

وله ، في بيع نرجس :

بالروح أفدى فوجيا خدّه
لما دنا ونظرت روض جماله
ورد وآس عذاره كالسندس
نزّهت طرفي في عيون النرجس

وله ، في بيع بنفسج :

سبا بنفسجنا
لما بدا في خدّه
بحسنه قلبي الشجي
عذاره البنفسجي

وله ، في بيع تفاح :

لله من بيع تفاح إذا
لما نظرت لحسن نرجس كفه
غلبني بحسن جبينه الوضاح
هام الفؤاد بخدّه التفاح

وله ، في بيع سفرجل :

لله من سفرجلي شاقني
حيّا بكاس الراس مع القرقل
بنج طرف بابلٍ أكل
ما أحسن الراح مع السفرجل

وله ، في بيع الورد :

لله وردٌ نسا البديع سنا
لما تأملت روض وجنته
وما جرى في الثغر من شهيد
تيم قلبي بخدّه الورد

عداوة النساء

طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعزاء

ذمّ بعض الحكماء من القدماء - جماعة النساء ، فقال :

هنّ نار توهج ، وسلّم إلى كلّ بلاء ، وهنّ مثل شجرة الدفلى ، لها رونقٌ وبها عُمر
إذا أكله البسير آذاه وقد يودى به .

ومن أمثالهم : طاعة النساء تردى العقلاء ، وتذلّ الأعزاء

ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تزين وتتمطرّ ، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها
وزاد جمالها ، فقال لمن حوله : إنّما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت واشتدّ حرّها ،
وضاءت للناس ، فهي حسنة المنظر ، تحرق من دنا منها .

وقال بعض الحكماء : الكيس من لم تضطره النساء . وقال أيضاً : من كانت لذّته في النساء ،
وقع في أعظم البلاء . .

وقال : من أراد أن يعيش عيشة رغد ، ويحيا حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة
النساء ، ولا يوحى إليهن بطرفه ولا بيده .

وقال حكيم : كلّ أسير يفتكّ إلا أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكلّ مالك يملك
إلا مالك النساء فإنه مملوك ، وما استرعين شيئاً قط إلا وضاع ، ولا استؤمننّ على سرٍّ إلا
ذاع ، ولا أطقن سرّاً فتصرن عنه ، ولا حوين خيراً فأبقين منه ، فقليل له :

كيف تذهبنّ ، ولولا هنّ لم تسكن أنت ولا أمثالك من الحكماء ؟

فقال : مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء ، لا يلامسها جسداً إلا اشتكى ، وحملها
مع ذلك الرطب الطيب الجنى . والسلاء : جمع سلاة وهي شوك النخل . .

وروى فيهن : أنهن محلات الآسار، ومكلفات الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار ، وأنهن يسرعن اللعن ، ويكثرن الطعن . وفي الحديث : أنهن يكفرون العشير ، وينكرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط !

وقال لقمان : استعذ بالله من شرار النساء ، وكن من خيارهن على حذر .

وقيل لبقرط : أى السباع أحسن صورة ؟ فقال : النساء .

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها ، فقال : قد ذهب نصف الشر .

ورأى البحر قد حمل امرأة - فقال : شرٌ يجنى شراً . . ورأى رأس امرأة على شجرة

فقال : ليت كل الشجر يشمر مثل هذا الثمر .

ونظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يعرس ، وقد زين داره وزوقها وكتب

على الباب : « لا يدخل على من هذا الباب شيء من الشر » .

فالت له : « فامراتك من أين تدخل ؟ » .

وتسكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لمن : اسكن ، فإنما أنتن لعب ،

إذا فرغ لكن ، لعب بكن .

وقيل إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يحاربته ، فقال لأصحابه : كففوا

عنهن ، فإن ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا فخر ، وإن غلبنا فهي الفضيحة

الباقية مع الدهر .

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال ، وأن أزواجهن يسكن

ناحية منهن ، فمتى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها ف قضى مدة عندها وانصرف فإذا ولدت

ولداً ربهته حتى يكبر وأرسلته إلى أبيه . وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى يبيس

لثلاً ينعما الطعن بالرمح ، وتركت الآخر الأيسر - لترضع به ولدها ، ومع هذا فلا تؤمن

صحبتهم ، ولسكن لا بد من الأدب في ذلك .

قال عمر رضي الله عنه : عودوا نساءكم — لا ، فإن — نعم — تجريهن على الألسنة .
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شاوروهن وخالفوهن »
وقال علي — رضي الله عنه — لابنه محمد بن الحنفية : إياك يا بني ومشاورة النساء ، فإن
رأيهن إلى الأفق ، وعزمهن إلى الوهن . واكفف عليهن من أنصارهن بحجبتك إياهن ،
وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تطل الجالوس مهن فيهلكنك وتمأهن ، واستبق
من نفسك بقية .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « كل من الرجال كثير ، ولم تسكمل من النساء
إلا امرأتان : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران » .
وخادب النبي عليه صلوات الله وسلامه — نسوة فقال لهن : « إن كنن إذا جستن دقمتن ،
وإذا شبعتن أثيرتن » . وفي بعض الروايات ورد — بدلًا من لفظ (أثيرتن : حجلتن) .
ومعنى (دقمتن : خضمتن ولستقتن بالدقماء ، وهي غبرة التراب ، ويقال — فقر مدقع ،
أى ماصق بالدقماء . وقالوا : رماه الله بالدقمة ، وهي الفقر والذل ، وجوع ديقوع — أى :
شديد .

وقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام — في النساء : « ما تركت بعدى فتنة أضرت على
الرجال من النساء » . وفي الشهاب : النساء حباثل الشيطان . وقال سعيد بن المسيب رحمه الله :
ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء . وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة ،
وقد ذهب بصره : ما شيء أخوف عندي من النساء . وقال بعضهم في هذا المعنى :

أضرت شيء على الإنسان شهوته	تلك التي أوردته لجة النكد
إن الفضول لعمر الله أدخله	في أن يكابد هم الأهل والولد
يحتاج داراً وأهل الدار يعلل به	كل شهوته ، فليعط ، أو .. يعيد
فانطاره الحال أن يسعى ليرضيهم	فخل من بلد يسرى إلى بلد
كأنه حَجَرٌ يرى به نزق	من هاهنا لهنا ، أو من يدٍ ليد
ما هم الدهر إلا ما يؤلفه	وما يجمعه من جيد وردي

وما يبالي حراماً منه ذلك أتى
حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من
أَمْسى يُفَرِّقُهَا فِيهِمْ وَزَيْتُهُ
وَرُبَّمَا أَسْخَطَ الْمَسْكِينُ خَالِفَهُ
الْفَرَضُ ضَيْعَهُ ، وَالِدَيْنِ أَتْلَفَهُ
وَكُلَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْفَسَاءِ ، فَلَا
يَسْلُبُ لُبُّ ذَوِي الْعَقْلِ الرِّصِينَ ، كَمَا
يَارُبُّ شَهْوَةٌ وَفَتْ أَوْرَثَتْ غَضَصًا
قَدْ كَانَ فِي شُغْلٍ عَنْهُمْ قَاطِبَةٌ
لَكِنَّهُ عَمِيَتْ عَنْ ذَلِكَ مُقْلَتُهُ

ومن شعر أبي العمران الميرتلي رحمه الله :

وَقَالُوا : تَزَوَّجْ فَنِعْمَ الْفَتَاةُ
وَلَوْ أَسْتَطِيعُ لَعَلَّقْتُ نَفْسِي
أَشَقَى بِهَا دُونَ مَا ضَرَّةٍ
وَمَا تَقْنَعُ الْعَرْسُ شَيْءَ بَشِيءٍ
فَنَفْسِي أَوْلَى بِنَفْسِي ، وَدَعُ

فَعَلَ أَمْرِي لَيْسَ فِي الْآخِرَى بِمُعْتَقِدٍ
تِلْكَ التَّهَاطُوسُ بَعْدَ الْإِيْنِ وَالْجَهْدِ
فِي كَسْبِ أُخْرَى كَذَا ، دَأْبًا بِلَا أَمَدٍ
إِذْ لَيْسَ فِي فِعْلِهِ هَذَا بِمُقْتَصِدٍ
بِالْمَكْرِ وَالْفِشِّ ، ثُمَّ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ
أَهْلًا بِهِنَّ ، وَلَا قُرْبَى مِنْ خَلَدٍ
يَصْرَعْنَ مَنْ كَانَ ذَا أَيْدٍ وَذَا جَلَدٍ
وَأَعْقَبَتْ حَسْرَاتٍ آخِرَ الْأَمَدِ
بِهِمْ عِيشَتُهُ لَوْ كَانَ ذَا رَشَدٍ
حَتَّى هَوَى مُكْرَهَا فِي هُوَةِ الْأَسَدِ

عَرَضْنَا عَلَيْكَ تَنَلْ خَيْرَهَا
فَكَيْفَ أَضِيفُ لَهَا غَيْرَهَا
وَأَمِنْ مِنْ ضَرَّةٍ ضَرِيرَهَا
سِوَى أَنْ تَصِيرَنِي عَيْرَهَا
سِوَاهَا تَسِرُ وَتَصِلُ سَيْرَهَا

بنات الأربعين من الرزايا

أنشدني أبو عبد الله اليزيدي ، قال : أنشدني عمي لمحمد بن عبد الله بن طاهر :

مَطَايَاتُ السَّرُورِ بَنَاتُ عَشْرِ
بَابُ جَاوِزَتِهِنَّ فِسرٌ قَلِيلًا
مَقَاسِدُ النِّسَاءِ مَعَ اللَّيَالِي
إِذَا أَوْلَدَتْهُنَّ مِنَ الْبَلَايَا

إِلَى عَشْرِينَ ، ثُمَّ فِي الْمَطَايَا
بَنَاتُ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الرِّزَايَا
إِذَا أَوْلَدَتْهُنَّ مِنَ الْبَلَايَا

طرائف عن الحب

حيلة عاشق

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفة مع «عُتْبَة» جارية المهدي، تدُلُّ على كمالِ ظرفه؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال:

إنَّ أبا العتاهية لما ألحَّ في أمر «عتبة» - لأول دخوله بغداد، ولم ينل منها شيئاً، وجدها يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر، فمضى فلبس ثياب راهب، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه، وسأل عن رجل كبير في السوق، فدُلَّ على شيخ صائغ، فحُجَّاء إليه فقال: إني قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة... يعني «عتبة».

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق، وجاء إلى «عتبة» فقال لها: إنَّ الله قد ساق إليك أجراً، هذا هو راهب قد رغبت في الإسلام على يديك. فقالت: هاتوه. فدنا أبو العتاهية منها - وهو في زي الراهب - فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ثم قطع الزنار، ومال على يديها فقبلها.

فلما فعل ذلك، رفعت البرؤس عن وجهه، فعرفته وقالت: نَحْنُوه، لعنه الله! فقالوا لها: لا تلعنيه فقد أسلم. فقالت: إنما فعلت ذلك لِقَدَرِهِ. فعرضوا عليه كسوة، فقال: ليس لي حاجة إلى هذه، وإنما أردتُ أن أشرِّفَ بولائها، فالحمد لله الذي منَّ عليَّ بحضوركم.

وجلس أبو العتاهية، فجعلوا يعلمونه (الحمد) وصلى معهم العصر، وهو في ذلك ينظر إليها، لا تقدر له على حيلة!

وحدث المبرِّدُ: أن «رَيْطَةَ» بنت أبي العباس السفَّاح، وجهت إلى عبد الله بن مالك الخزازي في شراء رقيق للعق، وأمرت جاريتهَا (عُتْبَةَ) - وكانت لها ثم صحبت «الخيزران» بعدها - أن تحضر ذلك. فإتيها الجلوسة إذ جاء «أبو العتاهية» في زي متنسك فقال لها:

جعلني الله فداك ، شيخ ضعيف لا يقوى على الخدمة . فإن رأيت - أعزك الله - شراً وعتق ، فعلت مأجورة . فأقبلت على عبدالله فقالت : إني لأرى هيئة جميلة ، وضعفاً ظاهراً ، ولساناً فصيحاً ، ورجلاً بليغاً ، فاشتره وأعتقه . فقال : نعم أفعل . ثم قال لها أبو العتاهية : أتأذنين لي - أصلحك الله - في تقبيل يدك ؟ فأذنت له ، فقبل يدها وانصرف . فضحك عبد الله بن مالك وقال لها : أتدريين من هذا ؟ فقالت : لا . قال : هذا أبو العتاهية ، وإنما احتال عليك حتى قبل يدك !

بين الحب والمال

وكان أبو العتاهية قد قصد بغداد من الكوفة ، مع زميلين له ، ليستفيد بشعره عند أمراءها ، ولم يكن لهم في بغداد من يقصدونه ، فزلوا غرفةً بالقرب من الجسر ، وكانوا يبتغون فيجلسون بالمسجد الذي بباب الجسر ، في كل غداة . فرّت بهم يوماً امرأة راكبة ، معها خدم سودان . فقالوا : من هذه ؟ قالوا : خالصة . فقال أحدهم : قد عشقت خالصة . وعمل فيها شعراً أعانوه عليه . ثم مرّت بهم أخرى ، راكبة أيضاً ، ومعهما خدم بيضان . فقالوا من هذه ؟ قالوا : هذه (عتبة) فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة . وعمل فيها شعراً .

ولم يزالوا كذلك ، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين ، وتحدث الناس بمشق أبي العتاهية وزميله لها . فقال صاحبا الجاريتين : تمتحن العاشقين بمال على أن يذبا التعرض للجاريتين . فإن قبلا المال كانا مستأكلين ، وإن لم يقبلوا كانا عاشقين .

فلما كان القد ، مرّت (عتبة) فعرض لها صاحبها ، فقال له الخدم : اتبعنا ، فتبهمهم ، فمضت به إلى منزل خليط لها يزار . فلما جلست دعت به فقالت له : يا هذا ، إنك شاب ، وأرى لك أدباً ، وأنا حرمة خليفة . وقد تأنيتُك ، فإن أنت كفت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ، ثم لم آمن عليك .

فقال لها أبو العتاهية : فافعلي ، بأبي أنت وأمي ، فإنك إن سفكت دمي أرحمتني . فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لي فيك نصيب .
فقالت له : أبقى على نفسيك ، وخذ هذه الخمسمائة دينار ، واخرج عن هذا البلد . فلما سمع ذكر المال ولَّى هارباً ، فقالت : رُدُّوه ، وألحَّت عليه فيها . فقال لها : جُعِلْتُ فداك ، ما أصنع بعرض زائل من الدنيا وأنا لا أراك . . . والله إنك لتبطلين يوماً واحداً عن الركوب ، فتضيق على الدنيا بما رَحِبَتْ . فزادت له في الدنانير ، وما زالت تلمحُ عليه فلا يزداد إلا رفضاً .

قليل منك يكفيني

ومن الطغ ما قاله أبو العتاهية في (عتبة) قوله :

بالله يا خُلوةَ العينين زوريني	قبلَ الماتِ ، وإلا . . فاستزيريني
هذان أمران ، فاخترى أحبهما	إليك ، أو . . لا . فداعى الموت يدعوني
إن شئتَ موتاً ، فأنت الدهر مالكة	روحي ، وإن شئتَ أن أحيَا ، فأخيني
يا (عُتْبَ) ما أنت إلا بدعةٌ خُلِقَتْ	من غير طين ، وخلقُ الناس من طينٍ
إني لأعجبُ من حبِّ يقرَّبُني	مما يباعدني عنه ، ويُقصيني
لو كان يُنصِفني مما كُلفتُ به	إذن . . رضيتُ ، وكان النصفُ يرَضيني
يا أهلَ ودِّي . . إني قد لَطُفتُ بهم	في الحبِّ - جَهْدِي - ولكن . . لا تبالوني
الحمد لله ، قد كُنَّا نظنُّكمو	من أرحم الناس - طراً - بالمساكين
أما الكثير ، فلا أرجوه منك ، ولو	أطعمتني في قليلٍ كان يكفيني

وله فيها قصائد كثيرة أخرى ، يقول في إحداها :

ألا يا (عُتْبَ) يا قرَّ الرِّسافة	ويا ذات الملاحاة والنظافة
رزقت مودتي ، ورزقتَ عطفِي	ولم أرزق - فديتك - منك رافة
وصرتُ من الهوى ذيفاً سقيماً	صريعاً كالصريع - من السُّلالة
أظُلُّ إذا رأيتك مُستَكِيناً	كأنك قد بُعِثتَ على آفة

ومن قوله فيها أيضاً :

قال لي أحمد ، ولم يدري ما بي
فتنفست ، ثم قلت : نعم ، حباً
لو تجسّين يا (عُتْبَة) قلبي
قد لعمري ملّ الطيب وملّ الـ
كيتني مت فاسترخت ، فإني

أُتَحِبُّ الغداة (عُتْبَة) حقاً ؟
جرى في العروق ، عرقاً فمراً
لوجدت الفؤاد قرحاً . . تفقاً
أهل مني ، ممّا أقاسى وألقى
أبدأ - ما حيت - منه ملقى

وفيه يقول :

(عُتْبَة) ما للخيال
لا أراه . . . أتاني
كؤ . . . رأي صديق
أو . . . يراني عدوي

خبريني . ومالي ؟
زائراً . . . مذ ليالٍ
رق لي ، أو رثي لي
لان من سوء حالي

من الحب إلى الزهد

وحدث أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب ، قال :

كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عُتْبَة) - فوعده بتزويجها ، وأنه سيسألها
في ذلك فإن أجبت جهّزها له وأعطاه مالا عظيماً . ثم إن الرشيد سنج له شغل استمر به ،
فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه . فدفع إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها
على الرشيد وهو يتبسم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منها مكتوباً :

ولقد تنسّمت الرياح لحاجتي . فإذا لها من راحتك شميم
فقال الرشيد : أحسن الخبيث . إذن . . على بالثانية . وكان مكتوباً عليها :

أعذت نفسي من رجائك ماله . عنق يحث إليك بي ، ورسيم
فقال الرشيد : على بالثالثة ، وكان مكتوباً عليها :

ولربما استيأست ، ثم أقول : لا إن الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد : قاتله الله ، ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال له : قد ضمنت لك يا أبا العتاهية ، وفي غدٍ تقضى حاجتك إن شاء الله ، وبمث إلى (عتبة) وقال لها : إن لي إليك حاجة ، فانتظريني الليلة في منزلك .

فأكبرت (عتبة) ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستعفيه ، فحلف ألا يذكر لها حاجته إلا في منزلها .

فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي أو تضمنين قضاءها ؟ قالت : أنا أميتك ، وأمرك نافذ في .. فيها خلا أمر أبي العتاهية ، فأتى حلفت لأبيك رضى الله عنه .. بكل يمين يحلف بها برئ وفاجر . وبللشى إلى بيت الله الحرام حافية ، كلما انقضت عنى حجة وجبت على أخرى ، لا أقصر على الكفارة ، وكلما أفدت شيئاً تصدقت به ، إلا ما أصلى فيه .

وبكت بين يديه ، فوق لها ورحمها ، وانصرف عنها .

وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الخبر .

قال أبو العتاهية : فلما أخبرني الرشيد بذلك ، مكثت ملياً لا أدري أين أنا قائم أو قاعد ؟ قلت : الآن يئست منها إذ ردتك ، وعلت أنها لا تجيب أحداً بعدك .

ثم لبس أبو العتاهية الصوف ، وترهد ، وقال في ذلك شمرأ كثيراً ، منه قوله :

قطعت منك حبايل الآمال وحططت عن ظهر المطى رحلي

ووجدت برد اليأس بين جوانحي فغيت عن حل وعن تر حال

وروى أبو سلمة النسوي أنه قال لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول النزال

إلى قول الزهد ؟ فقال أبو العتاهية : إذن والله أخبرك ، إنى لما قلت :

الله بيني وبين مولاتي أبدت لي الصد والمالات

منحني مهجتي وخالصتي فكان هوانها .. مكافاتي

هيمني حبها ، وصيرني ألدوة في جميع جاراتي

رأيت في المنام تلك الليلة ، كأنّ آتياً أتاني فقال : ما أصبت أحداً تدخلك بينك وبين عتبة ، يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى ؟ .. فانتبهت مذعوراً ، وتبت إلى الله تعالى من ساعتى من قول الغزل .

مَعِيَ بَيْنَ أَضْلَعِي

المحبة هي بذلك المجهود فيما يرضى الحبيب^(١) . وقيل : هي سكون بلا اضطراب ، واضطراب بلا سكون . يضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوه . ولا يزال يضطرب شوقاً إليه حتى يسكن عنده . وهذا معنى قولهم : هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب ، وسكونه عنده . وقيل : هي مصاحبة المحبوب على الدوام . كما قيل :

ومن عجب أنى أحن إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
ونطلبهم عني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

يرى الفؤاد الروحين يمتزجان

وقال ابن الرومي :

أعانقها والنفس بعد مشوقة إليها . وهل بعد العناق تدان ؟
وألثمها فها هي تزل صبايتي فيشتد ما عتدي من الخفان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحين يمتزجان

(١) في روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٩ .

لئن ساءني لقد سرفي

وقال عبد الله بن الدمينه :

ولو قلت : طأ في النار، أعلم أنه
لقد مت رجلى نحوها ... فوطئتهما
لئن ساءني أن نلتني بمساءة
لقد سرفني أنني خطرت بيالك
رضاً لك أو مدني لنا من وصالك
هدى منك لي، أو.. ضيلة من ضلالك

العشق عفة ونزاهة

قال الشاعر :

إذا كان حظ المرء ممن يحبّه
حديث كماء المزن بين فصوله
ولم فم عذب اللثات، كأنما
وما العشق إلا عفة ونزاهة
وإني لأستحي الحبيب من التي
حراماً، فخطي ما يجمل ويجمّل
عقاب به حسن الحديث يفصل
جناهن شهد فت فيه القرّ نفل
وأنس قلوب السهن التغزل
تريب، وأدعى للجميل فأجل

الطرف رسول رائد للقلب

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مهابة ، فجعلت أنظر إليها وأملاً عيني
من محاسنها ، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :
وكنيت متى أرسلت طرفك رائداً
لقلبك يوماً ، أتعبتك الناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر
عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

وقال الفرزدق :

تزوّد منها نظرة لم تدع له فؤاداً ولم يشمر بما قد تزوّد
فلم أر مقتولاً ، ولم أر قاتلاً بغير سلاح مثلها حين أقصد

وقال آخر :

ومن كان يؤتى من عدو وحاسد فأبى من عيني أيت ومن قلبي
ما اعتوراني : نظرة ثم فسكرة فما أبقيا لي من رقاد ولا لب

وقال ابن المعتز :

متيم يرقى نجوم الدجى يبكي عليه رحة عاذله
عيني أشاطت بدمي في الهوى فابكوا قتيلاً بعضه قاتله

وقال الأرجاني :

تمتمتُمَا يا مُثَلَّتِي بنظرة وأوردتُمَا قلبي امرء الوارد
أعيتني كُفًّا عن فؤادي فإنه من الظلم سعى اثنين في قتل واحد

وقال آخر :

عائيت قلبي لما رأيت جسمي نحيلاً
فألزم القلب طرفي وقال : كنت الرسولاً
فقال طرفي لقلبي بل كنت أنت السؤل
فقلت : كُفًّا جيماً تركتني قتيلاً

لذّة الحبّ كلّها

قال الشيخ شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيّة :
« ليس للقلب والروح لذّة ولا أطيب ، ولا أحلى ولا أنعم ، من محبة الله ، والإقبال عليه ، وعبادته وحده ، وقرّة العين به ، والأُنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته . وإنّ مثقال ذرّة من هذه اللذّة لا يُعَدّل بأمثال الجبال من لذّات الدنيا » .
وقال بعض العارفين : « مَنْ قرّرت عينه بالله قرّرت به كلّ عين . ومن لم تقرّ عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، ويكفى في فضل هذه اللذّة وسرفها أنّها تخرج من القلب ألَمَ الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألّم بأعظم ما يلتذّ بها أهلها ويفرّ منه فرارهم من المؤلم . وهذا موضع - الحاكم فيه الذّوق لا مجرد لسان العلم » .
وكانت بعض العارفين يقول : مساكين أهل الدّنيا ، خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا طيب نعيمها . فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبة الله والأُنس به والشّوق إلى لقائه ، ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر : والله إنه ليمرّ بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنّة في مثل هذه الحال ، إنهم لفي عيش طيب . وأنت ترى محبة من محبته عذاب القلب والروح كيف توجب لصاحبها لذّة يتمنى معها أنه لا يفارق من أحبه . كما قال شاعر الحماسة :

تشكى المحبّون الصّباية كيتني	تحمّلت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذّة الحبّ كما	فلم يلقها قبلي حبّ ولا بعدى !

أَحْسَنْتَ زَيْدِي

قال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه ، فأرادها ، فقالت :
إِنَّ أَبَاكَ مَسْنَى فَشَغَفَ بِهَا ، وَقَالَ فِيهَا :
أَرَى مَاءَ وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
أَمَّا يَكْفِيكَ أَنْتَ تَمْلِكُنِي وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَبِيدِي
وَأَنْتَ كَوُ جَهْدَتِ عَلَى تَلَاوِي لَقَلْتُ مِنَ الرُّضَا : أَحْسَنْتَ زَيْدِي

لَذَّةُ اللَّقَاءِ شِفَاءٌ

وذكر الثبي أن شاباً من ولد عثمان ، وشاباً من ولد الحسين ، خرجا يريدان موضعاً لهما ،
فنزلا تحت سَرْحَةٍ ، فأخذ أحدهما ورقة فكتب عليها :
خَبَّرِينَا - خَصِمْتِ بِالْغَيْثِ يَا سَرَّ حُ ، بِصَدَقٍ ، وَالصَّدَقُ فِيهِ شِفَاءُ
وكتب الآخر :
هَلْ يَمُوتُ الْمَحَبُّ مِنْ أَلَمِ الْحُبِّ بُّ وَيَشْفَى مِنَ الْحَبِيبِ اللَّقَاءُ
ثُمَّ مَضِيًّا ، فَلَمَّا رَجَعَا وَجَدَا مَكْتُوبًا تَحْتَ ذَلِكَ :
إِنَّ جَهْلًا سَأَلَكَ السَّرْحَ عَمَّا لَيْسَ يَوْمًا عَلَيْكَ فِيهِ خَفَاءُ
لَيْسَ لِلْمَاشِقِ الْمَحَبُّ مِنَ الْحُبِّ بُّ سَوَى لَذَّةِ اللَّقَاءِ شِفَاءُ

دعاء في الطواف

وقال أبو المنجاب : رأيتُ في الطواف فتى ، نحيف الجسم ، بين الضعف ، ياوذ ويعمود ويقول :

وددت بأنَّ الحبَّ يجمعُ كلَّه
فيقذفُ في قلبي ، وينلقُ الصَّدْرُ
فلا ينقضي ما في فؤادي من الهوى
ومن فرحي بالحبِّ أو ينقضي العُمُرُ

فقلت : يا فتى ، ما لهذه البنية حُرمةً تمنعك عن هذا الكلام ؟ فقال : بلى والله ، ولكنَّ الحبَّ ملأ قلبي بفرح التذكُّر ، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشذُّ عن معرفة ما بي . فتمنَّيتُ المتى . والله ما يسرُّني بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين من الملك . وإني أدعُ الله أن يثبتهُ في قلبي عمري ، ويجعله فجيئ في قبري ، دريتُ به أو لم أدر . هذا دعائي ، أو أنصرف من حجَّتي . ثم بكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال : خوف ألا يستجابَ دعائي ، وله قصدت ، وفيه رغبة ا

محبة الأعداء

من الكلمات المأثورة عن السيّد المسيح عليه السلام قوله : « أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ » .
وقال دِيعْبِل الخزامي :

أشبهتُ أعدائي فصرْتُ أحبَّهم
أجدُ الملامةَ في هوائِك لذيذة
إذ كان حظِّي منك حظِّي منهم
حبًّا لذكركِ فليُلمنني اللُّومُ

وقال آخر :

مَنْ كان يشكرُ للصديقِ فإنَّني
هم صيرُوا طَلَبَ المعالي دَيْدَنِي
أحبُّو بصلاحِ شُكْرِي الأعداءَ
حتى وطئتُ بِنَعْلِي الجُوزاءَ
والسُّمُّ - أحياناً - يكون شفاءً
ولربما انتفع الفتى بمَدُونِهِ

وقال آخر :

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَىَّ وَمِنَّهُ
هُوَ يَحْثُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنِبْتُهَا
فَلَا قَطْعَ الرَّحْمَنِ عَنِّي الْأَعَادِيَا
وَمَنْ نَافَسُونِي فَارْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

وقال أحد الشعراء :

سَرَرْتُ بِهَجْرِكَ لَمَّا عَلِمْتُ
وَلَوْلَا سُرُورُكَ مَا سَرَرْتَنِي
تُ أَنَّ لِقَابِكَ فِيهِ سُرُورَا
وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورَا

المصادر والمراجع

جميع المصادر والمراجع مأخوذة من كتب مطبوعة ومخطوطة من رصيد الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية وهي :

١	العقد الفريد	١٨	التبريزي على الحاسة
٢	خلاصة الأثر	١٩	سحر العيون
٣	أمالى أبي القاسم الزجاجي	٢٠	فوات الوفيات
٤	الإسعاف شرح شواهد الكشاف	٢١	اليتيمة للتمالي
٥	المناف والمنسوب	٢٢	بنية الوعاة
٦	الحيوان للجاحظ	٢٣	كتاب الترقيص ضمن كتاب
٧	نوح الطيب		اتفاق المباني واقتراق المعاني
٨	وفيات الأعيان لابن خلكان	٢٤	إرشاد الأديب
٩	حزانة الأدب لابن خلدون	٢٥	الأغاني
١٠	لوعة الشاكي ودمعة الباكي لاسفندي	٢٦	العزير المحلى
١١	طوق الحمامة في الألفة والألاف	٢٧	علم الدين لعلى باشا مبارك
١٢	سبعة المرجان	٢٨	الروض الأنف
١٣	شرح شواهد التحفة الوردية	٢٩	السكامل لابن الأثير
١٤	عيون التواريخ	٣٠	بدائع الفوائد
١٥	خاص الخاص للتمالي	٣١	روضة الأعيان للتراجم
١٦	مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور	٣٢	روضة المحبين ونزهة المشتاقين
١٧	أمالى أبي على القالى		

فهرس

كتاب الحب عند العرب

صفحة		صفحة
٢٨	أنواع الحب	٣ تمهيد لمقدمة الكتاب
٢٨	ضروب المحبة	٤ دواء مآثور
٢٨	حب الولد	٥ كلمة للجنة
٣٠	حب الأياىم واليتامى	١٣ صفات الحب وأغراضه
٣١	أمثال فى الحب	١٣ الحب ما هو
٣٢	حجة بالنة	١٤ الحب والمحوب
٣٣	حب الأزواج	١٦ عشق الشرف وعشق الجمال
٣٣	زواج النبى من خديجة	١٧ أحلام المحبين
٣٤	حب خديجة للنبي وتقديره لها	١٧ الحبيب الأول والحبيب الآخر
٣٥	خير متاع الدنيا المرأة الصالحة	١٨ الحب مع اختلاف الدين
٣٦	السيدة سكينة بنت الإمام الحسين	١٩ الحب فى كل حال
٣٨	عاتكة بنت زيد	٢٠ حب النساء والمال
٤١	زواج امرىء القيس	٢٣ الحب خضوع النفس
٤٣	ولاء أم عقبة لابن عمها غسان	٢٤ أشقى الناس أهواها
٤٤	زواج حاتم الطائى	٢٥ رابعة المدوية
٤٦	حب سحيم لعائشة بنت طلحة	٢٥ الحب أحسن المعاصى
٤٧	الترىا وعمر بن أبى ربيعة	٢٦ الهوى قدر
٤٩	أبو الأسود الدؤلى وامراته وابنهما	
٤٩	المجرد والمرأة التى تبمها	

صفحة	
٥١	الشعراء العشاق
٥١	جميل بنينة
٥٣	كثير عزة
٥٤	عمر بن أبي ربيعة
٥٥	من شعر أمية بن الصلت في الغزل
٥٦	حب امرئ القيس
٥٧	ذو الرمة وميعة
٥٧	توبة وليل الأخيلىة
٥٩	عبد الله بن طاهر وجاريتته
٦٠	بحر هوى ليس له شط
٦٠	حب زينب بنت إسحاق النصراني
٦١	التائب من الحب
٦٢	الحب والجمال
٦٢	حب امتداح النساء
٦٣	أعرابي يصف امرأة
٦٤	الوصف من المشاهدة
٦٦	أسنان النساء
٦٦	دائرة يلعب فيها البدر
٦٧	المرأة والطيب
٦٧	تغف الوجه بالخيط
٦٨	تشبيه المرأة ببدر السماء
٦٨	لقاء فتى جميل الوجه في الجنة
٧٠	تسكى المرأة بالشاة أو البيضة
٧١	في أسماء النساء
٧٦	الغزل ووصف النساء
٧٦	الغزل والتغزل والفرق بينهما
٧٦	ياليل الصب متى غده
٧٨	استحسان وضاعة الوجه
٧٩	كواكب لا كواعب
٨٠	كل فتاة بأبيها معجبة
٨١	أصل بليقي من قد غزائي
٨٢	تشبيب عمر بن أبي ربيعة
٨٣	صبح المشيب يدل على ليل الشباب
٨٣	الشاعر الغزال
٨٤	غزال قد غزا قلبي
٨٥	غرام أم جنون
٨٦	سلموس وسلمسة
٨٧	طائفة بنت معاوية
٨٨	وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح
٨٩	وصف : أية المنذر إلى أنوسروان
٨٩	نارس عربي جميل
٩١	غنيه : شحاذه
٩٢	العيون
٩٢	لأعذب المين
٩٣	معاني لفظ المين
٩٥	وصف المين وأسماء أجزائها
١٠٠	آفة النظر وغائلته

الصفحة	الصفحة
عداوة النساء ١٤٠	١٠٢ تعدد الزوجات والأزواج
طاعتهم تردى العقلاء وتذل الأعزاء ١٤٠	١٠٢ هند وأبو سفيان
بنات الأربعين من الرزايا ١٤٣	١٠٢ حكمة التعدد في الإسلام
طرائف عن الحب ١٤٤	١٠٥ المرأة التي تزوج عليها زوجها
حياة عاشق ١٤٤	١٠٦ عدم زواج الرجل بمن يهواها
بين الحب والمال ١٤٥	١٠٦ رؤية الرجل المرأة عند تزوجها
قليل منك يكفيني ١٤٦	١٠٨ رايات من نحر النساء
من الحب إلى الزهد ١٤٧	١٠٩ كشف وجه المرأة في الإحرام
معي بين أضلعي ١٤٩	١١٠ المرأة لعبة زوجها
يرى الفؤاد الروحين يتمزجان ١٤٩	١١٠ مات زوجها فتزوجت
لئن ساء لي لقد سرني ١٥٠	١١٢ وفاة عائشة بنت طلحة لزوجها
المشق عفة ونزاهة ١٥٠	المتوفى
الطرف رسول رائد للقلب ١٥٠	١١٣ القبلة وإباحتها
لذة الحب كلها ١٥٢	١١٥ عاسن الخلق والخلق
أحسننت زیدی ١٥٣	١٢٢ ما قيل في الأسماء
لذة اللقاء شفاء ١٥٣	١٣٢ ما قيل في المهن والحرف
دعاء في الطواف ١٥٤	
محبة الأعداء ١٥٤	